# الباعث الحثيث
# بآداب طالب الحديث

أحمد محمد يوسف إبراهيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

## إهداء

إلي شيخنا وأستاذنا وقدوتنا شيخ المحدثين والفقهاء وأستاذ الدعاة والأدباء حافظ زماننا ، حامل راية السنة والجماعة ، ومميت أصول البدعة والضلالة والقائم بأعباء هذه الصناعة، والمتجلبب بجلباب الطاعة ، إمام المحدثين والحفاظ كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها، وصفة لو نشر أكابر الأعداء ، لكانوا يودونها ، مع وقار عليه سيما الجلال ، وهيبة لا يقوم الضرغام عندها لنزال ، هذا مع ما أضيف إليه من أدب أزهى من الأزهار ، وأينع من الثمار ، واحد عصره بالإجماع ، وشيخ زمانه الذي تصغي لما يقوله الأسماع وبحر العلوم الذي لا تكدره الدلاء ، ومعدن الفضل الذي لقاصده منه ما يشاء ، لا أدري بين يدي شيخنا ما أقول : ولذا سأستعير لك عبارة شيخنا أبي عبدالرحمن الأثري إبراهيم بن حمدي كساه الله ثوب العافية : لم أر مثله وما أظن أنه رأى مثل نفسه أو جملة نحوها وعبارتك لشيخك ناصر الدين الألباني نحوها وزادت : لو حلفت بين الركن والمقام أنني ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه أرجو ألا أكون حنثت وأنا أقول لك وأنا والله لو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت مثلك شيخنا أرجو ألا أكون حنثت فوالله ما حملت عن أجل منك فيما رأيت ورويت ، فلله درك فلقد رأيتك للعلوم جامعاً ، وفي فنونها بارعاً ، مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانك، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانك ، لا يشق لك غبار ، ولا يجري معك في مضمار إذا قلت لم تترك مقالاً لقائل مع حسن الاستنباط والتعليل وحسن العرض والتدليل للمباني والمعاني من السنة والكتاب ، بلب يسحر الألباب ، وفكر يستفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب ، ولقد شرفت الديار المصر ية برجلين ليس لهما نظير العلامة

أحمد شاكر ، والعلامة الحويني فشفاك الله وعافاك شيخنا الحبيب أبا إسحاق ووالله وبالله وتالله إنَّ ما ألم بك شج قلبي الجريح بسكين باردة وطعن عيني فهطلت بدموعٍ ساجدة ولكن ما يصبرنا ويسكننا أنها في سبيل الله جعلها الله سابقة لك إلى الجنان أحبك في الله حبيبي وشيخي ومعلمي ومربيني وقرة عيني ومهجة قلبي **أبي إسحاق الحويني** واسمح لي أن أستعير لك قول القائل:

كأنّ نور البدر في غسق الدُّجى ... نغم الرحيل على شفا الشّحرور
وكأنّ وقع النّجم في صدر السّما ... قبل المحبِّ على ستور الدُّورِ
هجمت على قلبي بحافل محنتي ... تسبي عذارى بهجتي وحبوري
وتلاعبت هذي الهموم بمهجتي ... كتلاعب الأطفال بالعصفورِ
يشدون لهواً وهْو يشدو لوعةً ... لا فرق بين الباكِ والمسرورِ
وأريد أن أنسى فأنسى أنّني ... أنسى فأذكر ما يزيد شروري

## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكَلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فهذه وريقات يسيرة ، لكنها عدة وذخيرة اسميتها بـــــ "الباعث الحثيث بآداب طالب الحديث " وكنت قد تعرضت لشيء من هذه في دورس المصطلح التي كانت

في شرح البيقونية والتي كانت بمسجد قباء بوراق العرب ثم عزمت على تطويرها وشرحها في درسي الجمعة والسبت بعد صلاة العشاء بمسجد عثمان معن رحمه الله تعالى فحاجتنا إلى الأدب أكثر من حاجتنا إلى غيره وقديماً قالوا علم بلا أدب كنار بلا حطب وقد روينا في مصنف ابن أبي شيبة قَالَ: حدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَن مُغِيرَةَ ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ ، قَالَ : قِيلَ لِلْعَبَّاسِ : أَنْتَ أَكْبَرُ ، أَوْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي وَوُلِدْت أَنَا قَبْلَهُ.

وفي هذه الأيام نبتت نابتة سوء وظهرت ظاهرة عجيبة وهي ظاهرة الجرأة على أهل العلم والفضل فحدا بي الشوق إلى هذه الكلمات التي دونتها في هذه الورقات لتكون نبراساً في الحياة لي أولاً ثم لأبنائي ثانياً ثم من أراد الله له الانتفاع فقيمة الأدب وقامته عالية جداً.

وقد روينا بإسنادتا إلى الطبراني في الكبير من طريق يحيى الحماني ثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد ثنا أبي: أن الحجاج أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل فقال له سالم: أصليت الصبح؟ فقال له الرجل: نعم فقال: انطلق فقال له الحجاج: مامنعك من قتله؟ فقال سالم: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من صلى الصبح كان في جوار الله يومه) فكرهت أن أقتل رجلا قد أجاره الله فقال الحجاج لابن عمر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال ابن عمر: نعم.

قلت: ويحيى فيه كلام وحديثه محتملٌ وروينا في الأوسط وغيره من طريق أخرى عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ الْحَجَّاجُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَذَ رَجُلاً فَدَفَعَهُ إِلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ لِيَقْتُلَهُ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: أَمُسْلِمٌ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَصَلَّيْتَ الصُّبْحَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: انْطَلِقْ لاَ سَبِيلَ لِي عَلَيْكَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَا صَنَعَ، فَقَالَ لَهُ مَا

فَعَلَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: سَأَلْتُهُ أَمُسْلِمٌ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَسَأَلْتُهُ أَصَلَّيْتَ الصُّبْحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَخْبَرَنِي أَبِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ كَانَ فِي جُوَارِ اللهِ حَتَّى يُصْبِحَ، أَوْ يُمْسِيَ قَالَ: فَإِنَّهُ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ، قَالَ: فَمَا أَنَا بِوَلِيِّ لِعُثْمَانَ فَأَقْتُلُ قَتَلَتَهُ، قَالَ: فَبَلَغَ أَبَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَخَرَجَ مُسْرِعًا يَجُرُّ إِزَارَهُ، فَلَقَّنَهُ بِمَا صَنَعَ، فَقَالَ: سَمَّيْتُكَ سَالِمًا لِتَسْلَمَ، سَمَّيْتُكَ سَالِمًا لِتَسْلَمَ.

قلت: فيه أيوب بن سويد وفيه كلام يسير فانظر إلى أدب سالم!!! ويا للأدب وأنعم به في حسن تصرفه مع ظلوم غشوم وقد حدث قريباً منه فيما ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد قال: دخل على الحجّاج سُليك بن سُلَكة، فقال: أصلح الله الأمير، أعِرْني سمعك، واغضُض عنّي بصرك، واكفُف عني غَربك، فإن سمعتَ خطأ أو زللا فدونَك والعُقوبة فقال: قُل، فقال: عَصى عاصٍ من عُرض العَشيرة فخُلّق على اسمي، وهُدمت داري، وحُرمت عطائي. قال: هيهات! أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يَجني عليك وقد ... تَعدِي الصحاحَ مبارِكُ الجُربِ

ولربّ مأخوذٍ بذنبِ عشيرةٍ ... ونَجا المُقارف صاحبُ الذنب

قال: أصلح الله الأمير، فإني سمعت الله قال غير هذا. قال: وما ذاك؟ قال: قال: " يأيّها العَزيزُ إنّ له أباً شيْخاً كَبيراً فخُذ أحَدنا مكانَه إنَّا نَراك من المُحْسنين قال معاذ الله أن نأخُذ إلا مَنْ وجدْنا مَتاعَنا عِنده إنّا إذاً لظالمون ".

فقال الحجاج: عليّ بيزيد بن أبي مُسلم، فأتي به، فمَثل بين يديه، فقال: افكُك لهذا عن اسمه، واصكك له بعطائه، وابنِ له منزلَه، ومُر مُناديا ينادِ في الناس: صَدَق الله وكَذب الشاعر.

وبإسنادنا إلى ابن عساكر قال: أخبرنا أبو العز بن كادش حدثنا محمد بن الحسين حدثنا المعافى بن زكريا حدثنا محمد بن محمود بن أبي الأزهر الخزاعي حدثنا الزبير بن بكار حدثني النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون بمرو وعلي أطمار فقال لي: يا نضر أتدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق قال: لا ولكنك تتقشف فتجارينا الحديث فقال المأمون: حدثني هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز.

قلت: صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم حدثني عوف الأعرابي عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد بالكسر من عوز

وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال: السداد لحن يا نضر؟ قلت: نعم ههنا وإنما لحن هشيم وكان لحاناً فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد بالفتح القصد في السبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال: أفتعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم هذا العرجي من ولد عثمان يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فأطرق المأمون مليا ثم قال: قبح الله من لا أدب له! ثم قال: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب قلت: قول ابن بيض في الحكم بن مروان:

تقول لي والعيون هاجعة ... أقم علينا يوما فلم أقم

أي الوجوه انتجعت قلت لها ... لأي وجه إلا إلى الحكم؟

متى يقل حاجباً سرداقه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً ... هيهات أدخل فأعطني سلمي

قال أنشدني أنصف بيت قالته العرب قلت: قول ابن أبي عروبة المديني:

إني وإن كان ابن عمي عاتبا ... لمزاحم من خلفه ووراءه
ومفيد نصري وإن كان أمرأ ... متزحزحا في أرضه وسمائه
وأكون والي سره وأصونه ... حتى يحن إلي وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه ... قرنت صحيحتنا إلى جربائه
وإذا دعا باسمي ليركب مركباً ... صعبا قعدت له على سيسائه
وإذا أتى من وجهه بطريقة ... لم أطلع فيما وراء خبائه
وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل ... يا ليت أن علي حسن ردائه

قال: أنشدني أقنع بيت قالته العرب فأنشدته قول ابن عبدل

إني امرؤ لم أزل وذاك ... من الله أديبا أعلم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأن بي ... الدار وإن كنت نازحا طربا
لا أحتوي الصديق ولا ... أتبع نفسي شيئا إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من ... الرزق بنفسي وأجمل الطلبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا... رغبته في صنيعة رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا ... يعطيك شيئا إلا إذا رهبا
مثل الحمار الموقع السوء لا ... يحسن شيئا إلا إذا ضربا
ولم أجد عروة العلائق إلا ال ... دين لما اختبرت والحسبا
قد يرزق الخافض المقيم وما ... شد بعيس رحلاً ولا قتبا

ويحرم الرزق المطية والرحـ ... ـل ومن لا يزال مغتربا

قال: أحسنت يا نضر وأخذ القرطاس فكتب شيئا لا أدري ما هو ثم قال: كيف تقول أفعل من التراب؟ قلت: أترب قال: ومن الطين؟ قلت: طن قال: فالكتاب ماذا؟ قلت: مترب مطين قال: هذه أحسن من الأول فكتب لي بخمسين ألف درهم ثم أمر الخادم أن يوصلني إلى الفضل بن سهل فمضيت معه فلما قرأ الكتاب قال: يا نضر لحنت أمير المؤمنين قلت: كلا! ولكن هيثم لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه فأمر لي من عنده بثلاثين ألفا فخرجت إلى منزلي بثمانين ألفا ، وروينا بإسنادنا إلى أبي بكر الخطيب قال أنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي نا علي بن عمر الحافظ نا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي نا أبو عكرمة الضبي حدثني محمد بن زياد الأعرابي قال بعث إلي المأمون فصرت إليه وهو في بستان يمشي مع يحيى بن أكثم فرأيتهما موليين فجلست فلما أقبلا قمت فسلمت عليه بالخلافة فسمعته يقول ليحيى يا أبا محمد ما أحسن أدبه رآنا موليين فجلس ثم رآنا مقبلين فقام ثم رد علي السلام وقال يا محمد أخبرني عن أحسن ما قيل في الشراب فقلت يا أمير المؤمنين قوله

تريك القذى من دونها وهي دونه ... إذا ذاقها من ذاقها يتمطق

فقال أشعر منه الذي يقول يعني أبا نواس:

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

فعلت في البيت إذا مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم

واهتدى ساري الظلام بها ... كاهتداء السفر بالعلم

فقلت فائدة يا أمير المؤمنين فقال أخبرني عن قول هند بنت عتبة:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

من طارق هذا فقد نظرت في نسبها فلم أجده فقلت يا أمير المؤمنين ما أعرف في نسبها إنما أرادت النجم وانتسبت إليه لحسنها من قول الله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ الآية فقلت فائدتان يا أمير المؤمنين فقال: أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبؤه ثم رمى إلي بعنبرة كان يقلبها فبعتها بخمسة آلاف درهم، وأما أدب الأمراء مع العلماء فمن المفاخر والمآثر ومن ذلك:

ما ذكره الكسائي قال: صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول لعلهم يرجعون فقلت يرجعين فوالله ما اجترأ الرشيد أن يقول أخطأت، لكنه لما سلم قال: أي لغة هذه قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد. قال: أما هذه فنعم.

وقد روينا بإسنادنا إلى أبي بكر الخطيب قال أخبرنا عبيد الله بن أبي الفتح حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ حدثني عبد الرزاق بن سليمان بن علي بن الجعد قال سمعت أبي يقول لما أحضر المأمون أصحاب الجوهر فناظرهم على متاع كان معهم ثم نهض المأمون لبعض حاجته ثم خرج فقام كل من كان في المجلس إلا بن الجعد فإنه لم يقم قال فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب ثم استخلاه فقال له يا شيخ ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك قال أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي صلى الله عليه و سلم قال وما هو قال علي بن الجعد سمعت المبارك بن فضالة يقول سمعت الحسن يقول قال النبي ﷺ من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار قال فأطرق المأمون متفكرا في الحديث ثم رفع رأسه فقال لا يشتري إلا من هذا الشيخ قال فاشترى منه ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار وقد

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن الرشيد استدعى إليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم ليسمع منه الحديث قال أبو معاوية: ما ذكرت عنده حديثا إلا قال ﷺ على سيدي، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى، وأكلت عنده يوما ثم قمت لاغسل يدي فصب الماء علي وأنا لا أراه، ثم قال: يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء ؟ قلت: لا قال: يصب عليك أمير المؤمنين.

قال أبو معاوية: فدعوت له، فقال: إنما أردت تعظيم العلم.

وقد روينا في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي في ترجمة أبي عمرو الخفاف قال: كان عمرو بن الليث الصفار - يعني السلطان - يقول لي: يا عم! متى ما علمت شيئا لا يوافقك فاضرب رقبتي، إلى أن أرجع إلى هواك قال الحافظ الذهبي معقباً قلت: كذا فليكن السلطان مع الشيخ وروينا في تاريخ بغداد أن المهدي قعد قعوداً عاماً للناس فدخل رجل وفي يده نعل في منديل فقال يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أهديتها لك فقال هاتها فدفعها إليه فقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه أترون أني لم أعلم أن رسول الله ﷺ لم ير النعل هذه فضلا عن أن يكون لبسها ولو كذبناه قال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردها علي وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي وإن كان ظالما فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذي فعلناه أنجح وأرجح

وبعث هارون الرشيد بابنه الى الأصمعى، ليعلمه العلم والأدب، فرأه يوما يتوضأ، ويغسل رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاتب الأصمعى فى ذلك، فقال:"

انما بعثته اليك لتعلمه وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء باحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك؟

وفي ترجمة نظام الملك الوزير الحسن بن علي بن إسحاق من البداية والنهاية قال : وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والعلماء، بحيث يقضي معهم غالب نهاره، فقيل له: إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح، فقال: هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني قام لهما وأجلسهما معه في المقعد، فإذا دخل أبو علي الفارمدي قام وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فعوتب في ذلك فقال: إنهما إذا دخلا علي قال: انت وأنت، يطروني ويعظموني، ويقولوا في ما ليس في، فأزداد بهما ما هو مركوز في نفس البشر، وإذا دخل علي أبو علي الفارندي ذكرني عيوبي وظلمي، فانكسر فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه.

قال أبو زرعة: كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فجلس وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكئ

وقد ذكر أبو الحسن الندوي في كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين حشمة بعض العلماء وتقدير العامة والخاصة لهم فقال: كان السيد آدم البنوري الهندي (م ١٠٥٣) دفين البقيع يأكل على مائدته كل يوم ألف رجل، ويمشي في ركابه ألوف الرجال ومئات من العلماء، ولما دخل السيد في لاهور عام ١٠٥٣ كان في معيته عشرة آلاف من الأشراف والمشايخ وغيرهم، حتى توجس شاهجان ملك الهند منه خيفة، فأرسل إليه بمبلغ من المال، ثم قال له: قد فرض الله عليك الحج فعليك بالحجاز، فعرف إيعاز الملك، وسافر إلى الحرمين حيث مات.

وهذا الشيخ محمد معصوم (م ١٠٧٩) ابن الشيخ الكبير أحمد السرهندي قد تاب على يده تسعمائة ألف من الرجال، واستخلف في دعاء الخلق إلى الله وإرشاد الناس وتربيتهم الدينية سبعة آلاف من الرجال.

وهذه ابنه الشيخ سيف الدين السرهندي (م ١٠٩٦) كان يأكل على مائدته ألف وأربعمائة، ويقترحون الأطعمة ويتخيرونها.

وهذا الشيخ محمد زبير السرهندي (م ١١٥١) كان إذا خرج من بيته ألقى له الأغنياء الشيلان والمناديل حتى لا يطأ الأرض، وإذا خرج لعيادة مريض أو لبعض شأنه خرج في ركابه الأغنياء والأمراء فكان موكباً مثل مواكب الملوك.
وأريد أن أختم مقدمتي هذه بكلمة للأمة جمعاء أن يا أمتي سبيل عزك ومجدك إنما هو بالعلم والأدب ولقد فهم أسلافنا هذا فمن الله عليهم بالقيادة والسيادة والريادة فالحضارة الغربية الحديثة أجددنا وأسلافنا هم من وضعوا أسسها وأقاموا أركانها ولكنَّ المهزومون نفسياً يروجون لأكاذيب الغرب،

فأول من صنع الطائرة العالم المسلم الأندلسي عباس بن فرناس ت ٨٨٧ وقد أشار إلى تجربة الطيران هذه، وعدوها أول آلة طيران البروفيسور الدكتور "فيليب حتي" والدكتور "سيجرد هونكه" وليس إخوان رايت في عام ١٩٠٣!!!

وأول من صنع غواصة العالم المسلم التركي "إبراهيم أفندي" فقد قام في عام ١٧١٩، بصنع أول غواصة مصنوعة من الفولاذ تستطيع حمل الإنسان وليس العالم الأمريكي "ديفيد بوشْنَل" عام ١٧٧٦!!!

وأول من اختراع النظم البخارية العالم المسلم السوري أبو العز بن إسماعيل الرزاز الملقب بـ الجزري ت ١١٣٦ وقد اعترف بذلك العالم لين وايت وليس "جيمس واط" ت ١٨١٩ !!!

والذي أثبت كروية الأرض ودورانها حول الشمس العالم المسلم الفارسي أبوالريحان محمد بن أحمد البيروني ت ١٠٤٨ وليس نيكولاس كوبرنيكوس ت ١٥٤٣ !!!

والذي اكتشف الدورة الدموية العالم المسلم السوري أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحرم القَرشي الملقب بابن النفيس ت ١٢٨٨ فقد رسم في كتابه منظومة الأوعية الدموية وأقسام القلب وحجراته بالتفصيل، وسرد وقدم المعلومات حول الدورة الدموية الصغرى والدورة الدموية الكبرى كلا على حدة وليس "ميشيل سيرفيتوس" كما هو معروف !!!

وأول من قام بعملية التخدير العالم المسلم التركي ثابت بن قرة بن مروان ت ٩٠١ وليس"جونكن" في عام ١٨٥٠!!!

وأول من اكتشف الذرة العالم المسلم السوري "جابر بن حيان" ت ٨١٥ فقد قال: "إن أصغر جزء من المادة وهو الجزء الذي لا يتجزأ (الذرة) يحتوي على طاقة كثيفة. وليس من الصحيح أنه لا يتجزأ مثلما ادعى علماء اليونان القدامى، بل يمكن أن يتجزأ، وأن هذه الطاقة التي تنطلق من عملية التجزئ هذه، يمكن أن تقلب مدينة

بغداد عاليها سافلها. وهذه علامة من علامات قدرة الله تعالى وليس "جون دالتون" ١٨٤٤ أو الألماني "أوتوهان" ١٨٦٨!!!

وأول من اكتشف مرض السل وعلاجه العالم المسلم التركي "عباس وسيم بن عبد الرحمن" ت ١٧٦١ فقد كانت له بحوث مهمة حول الجرثومة التي تسبب هذا المرض وحول طرق انتقاله وطرق علاجه وأثارت بحوثه اهتماماً كبيراً في أوروبا وليس العالم الألماني "روبرت كوخ" ت ١٩١٠ الحائز على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٠٥.

وأول من قام بعملية إزالة عتمة عدسة العين Cataract العالم المسلم العراقي"أبي القاسم عمار بن علي الموصلي" ت١٠١٠ ويرجع إليه الفضل في اختراع إبرة مجوفة لإجراء العملية التي تمتص هذا الماء .وليس "بلانكت" في عام ١٨٤٦. فهذه أيها الحبيب نماذج مما نفتقده اليوم من الأدب والعلم وفي هذه الرسالة ذكرت طرفاً يسيراً من أدب طالب الحديث وإن كانت الآداب عامة لطلبة العلم لكنني خصصت طالب الحديث بالذكر لمكانته وشرف مطلوبه وأرجو الله أن يشفي بها العليل وأن يروي بها الغليل وأن يسلي بها الهديل وأن يملأ بها النحيل وأن يرزقنا الأدب النبيل والعلم النافع الجليل والله الكريم أسأل أن يرزقني غنمها وأن يقيني غرمها ، وأن يجنبني شر مآلها ، فيا أيها الحبيب الكريم إن المرء إذا غمر فقد حرم وإذا كتب فقد عرض عقله على الناس ولينظر قذائف ترمى عليه ، وسهام تسدد إليه وكما قيل: إن نتائِجَ الأفْكَارِ عَلى اختِلافِ القَرائِحِ لا تَتَنَاهَى ، وإنَّمَا يُنفقُ كلُّ أَحدٍ على قَدْرِ سَعَتِه، لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا مَا آتَاهَا ، ورَحِم اللهُ مَنْ وَقَفَ فِيهِ عَلى سَهْوٍ أو خَطَإٍ؛

فأصْلَحَهُ عَاذراً لا عَاذِلاً ، ومُنيلاً لا نَائِلاً ؛ فَلَيْسَ المبرَّأُ من الخَطَلِ إلا مَنْ وقَى اللهُ وعَصَمْ ، وقَدْ قِيل : الكِتَابُ كالمُكَلِّفِ ؛ لا يَسْلَمَ مِنْ المُؤاخَذَةِ ولا يَرْتفعَ عَنْه القَلَمُ ، واللهُ تَعَالى يُقرنُهُ بالتَّوفِيقِ ، ويُرشدُ فيهِ إلى أَوْضَحِ طَرِيقٍ ، ومَا تَوْفيقي إلا بِالله عَليه تَوكلتُ وإليهِ أُنِيب ولا أنسى أن أخص بالشكر والعرفان:

زوجي الحبيب أم حفص أكرمها الله بالصحة والعافية،

وزهرتي وريحانتي وبضعي الغالي أم الحسن ميمونة،

وغصني الرطيب وقلبي الحبيب أبوبسطام شعبة رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح،

وبسمة الصباح ونوره الوضاح أبو محمد سفيان هداه الله،

ونسمة الربيع وزهره البديع أبوسفيان وكيع سدده الله.

وعنبر النسيم والورد والياسمين أبو السري هناد رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح

والصاحب المؤيد والحبيب المؤنق مسدد رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح.

والله الكريم أسأل أن يجعل ما قلناه وما كتبناه زاداً لحسن المصير إليه وعتاداً ليمن القدوم عليه إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً.

وكتبه المعتز بالله العلي

أبي حفص المصري السلفي الأثري

القاهرة في مساء يوم الخميس الموافق التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة لعام ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف، العاشر من شهر مايو لعام اثني عشر وألفين من التأريخ النصراني.

ahmedmsh2003@gmail.com
هاتف رقم ٠١٠٠٢٣٥٥٥٥٨

## آداب طالب الحديث

### ١- الإخلاص لله تعالى:

في طلب الحديث وغيره، والحذر من أن تكون الغاية من طلبه التوصل إلى أغراض الدنيا فإني سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وقد روينا بإسنادنا إلى البخاري و مسلم من حديث عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى ومن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه, قد روينا أيضاً بإسنادنا إلى أبي داود وهو حديث حسن من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ ( من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة - يعني ريحها - )

وقال حماد بن سلمة: " من طلب الحديث لغير الله مُكر به "

وروينا في سنن الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث ابن عمر وجابر وحذيفة وكعب وغيرهم من طرق يقوي بعضها بعضاً أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: " مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ "

وقال ابنُ مسعود: لا تعلَّموا العِلمَ لثلاثٍ: لتُماروا به السُّفَهاء، أو لِتُجادِلوا به الفُقهاء، أو لتصرفوا بهِ وُجُوه النَّاس إليكم، وابتغُوا بقولِكُم وفعلِكم ما عندَ اللهِ، فإنَّه يبقَى ويذهبُ ما سواهُ.

وقال الجنيد: ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق الا ناله فان لم ينله كله نال بعضه.
وقال الإمام أحمد: "العلم لا يعدله شيء لمن صحّت نيته"، قالوا: كيف ذلك؟ قال: "ينوي رفع الجهلَ عن نفسه وعن غيره"

وقال عمر بن ذر لوالده: يا أبي، مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟! فقال: يا بني، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة

وقال ابن جماعة: " واعلم أن جميع ما ذكر من فضل العلم والعلماء إنما هو في حقّ العلماء العاملين الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية وخبث طوية، أو لأغراض دنيوية، من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب"

وقال أبو يوسف: "أَريدوا بعلمكم اللهَ تعالى، فإني لم أجلس مجلساً قطّ أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلُوَهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى افتَضَح"

وقال سفيان الثّوري -رحمه الله-: "ما عالجتُ شيئًا أشد عليّ من نِيّتي.

ومن بركة الإخلاص أن ابن وضاح قال: بلغنى أن رجلا كان يطوف ويقول: اللهم اقض عنى الدين، فرأى فى المنام إن كنت تريد وفاء الدين فائت حيوة بن شريح يدعو لك، فأتى إلى الإسكندرية بعد العصر يوم الجمعة، قال: فأقمت حتى صار ما حوله دنانير، فقال لى: اتق الله ولا تأخذ إلا قدر دينك، فأخذت ثلاثمائة.

## ٢- طهارة الظاهر والباطن:

تطهير القلب من كلِّ غشٍّ وغِلٍّ وحسدٍ وسُوءِ مُعْتَقَدٍ وسُوء خُلُقٍ وشغل ولهذا قيل: إذا طُيِّبَ القلبُ للعلم ظهرت بركتُه ونما.

ولله در علي بن خشرم وينسبونه للشافعي ولا يصح:

شَكَوتُ إلى وَكِيعٍ سُوءَ حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأنّ العلمَ نورٌ .... ونورُ الله لا يُؤتَاهُ عاصٍ.

وقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة زيد بن أسلم قول أبي حازم الأعرج: لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا وما رأيت فيه متمارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا.

وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة عبد الله بن محمد الأنصاري قال عبد الغافر بن إسماعيل: وكان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة وركب الدواب الثمينة ويقول: إنما أفعل هذا إعزازًا للدين ورغمًا لأعدائه حتى ينظروا إلى عزي وتجملي فيرغبوا في الإسلام، ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقعة.

## ٢- اغتنام الصبا والشباب:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣] فوصفهم بالفتية وهم في كل عصر الفئة الأقوى وهم السواعد الأقنى وهم قلب الأمة النابض وأجيال المستقبل قال الشافعي: ومن فاتهُ التعليم وقت شبابه ... فكبِّر عليه أربعًا لوفاته.

وروينا في صحيح البخاري من حديث عمر أنّه قال: "تَعَلَّمُوا قبل أن تَسُودُوا" ، ومما رويناه بإسنادنا إلى الخطيب البغدادي قال : أخبرني الحسن بن أبي بكر قال ذكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش أن محمد بن عبد الرحمن السامي أخبرهم بهراة قال أخبرنا علي بن الجعد أخبرني يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي قال توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيراً في حجر أمي فاسلمتني إلى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس استمع فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار وكان أبو حنيفة يعني بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وأنما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مري يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعني حتي تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الأيام قدم إلي هارون فالوذجة فقال لي هارون يا يعقوب كل منه فليس كل يوم يعمل لنا مثله فقلت وما هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم

ضحكت فقلت خيراً أبقى الله أمير المؤمنين قال لتخبرني وألح علي فخبرته بالقصه من أولها إلى آخرها فعجب من ذلك وقال لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا وترحم على أبي حنيفة وقال كان ينظر بعين عقله مالا يراه بعين رأسه.

## ٤- اغتنام الوقت:

وروينا في صحيح البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من النّاس: الصّحة والفراغ

قال الحسن البصري رَحِمَهُ الله: إيّاك والتسويف فإنّك بِيومك ولست بِغدك، فإن يكن غدٌ لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لكَ غدُ لم تندم على ما فرّطت في اليوم واغتنام أوقات النّشاط وفراغ الذهن:

كالبكور:

روينا في سنن الترمذي وهو حديث حسن من حديث عليّ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لأمتي في بكورها

والسَّحر:

قال إسماعيل بن أبي أويس: إذا هممت أن تحفظ شيئا فنَمْ، وقُمْ عند السّحر فأسرج، وانظر فيه، فإنّك لا تنساه إن شاء.

ويقول الخطيبُ البغداديُّ -رحمه الله- مبينًا تجربته في هذا: (أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم وسط النهار، ثم الغَدَاة. قال: (وحفظ اللّيل أنفعُ من حفظ النهار). قال: (ووقت الجوع أنفعُ من وقت الشِّبَع.

وقال الشافعي: "لو كلفت شراءَ بصلة لما فهمت مسألة"وقال بعضهم: "لا يَنال هذا العلم إلا من عطّل دكّانه، وخرّب بستانه، وهجر إخوانَه، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته"

فالنووي -رحمه الله- توفي وعمره خَمس وأربعون سنة، وله "رياض الصالحين"، و"الأذكار"، و"شرح صحيح مسلم"، و"الأربعون النووية"، و"المجموع شرح المهذب"وغيرها،

وشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- ألف كتابه "العقيدة الواسطية" في جَلسة بين الظهر والعصر، وكان بناء على طلبٍ من قاضي واسط رضيِّ الدينِ الواسطيِّ. وكذا "الفتوى الحموية" وهي تقع في مجلد ضخم، ألفه في جلسة بعد العصر.

وقال عمار بن رجاء قال سمعت عبيد بن يعيش يقول أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي يعني بالليل كانت أختي تلقمني وأنا اكتب.

وقال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي: إنني كنت أسف الكعك وأتحساه بالماء، لأجل ما بينهما من التفاوت في المضغ ألف كتابه الفنون في ثمانمائة مجلد طُبع منه مجلدان.

وقال ابن رجب الحنبلي في ذيل الطبقات: لقد رأيت المجلد كذا بعد الأربعمائة، وكان ابن عقيل يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا كلَّ لساني عن مناظرة وبصري عن مطالعة استطرحتُ فأُعمل فكري حال استطراحتي فلا أقوم إلا وقد خطر لي ما أسطره.

وروينا في معجم الطبراني الكبير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال سمعت عمربن الخطاب يقول لأبي :ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبيرأموت غداً فقال له عمر :أعزم عليك لتغرسنها، فقال عمارة: فلقد رأيت عمربن الخطاب يغرسها بيده مع أبي "

وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم : أن نعيم بن حماد قال: قيل لابن مبارك : إلى متى تتطلب العلم ؟ قال : حتى الممات إن شاء الله

" وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شي من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة "

ووقف أبو الدرداء رضي الله عنه ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه " أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد ؟ قالوا: نعم قال :فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون!

ويحيي ابن معين خلف له أبوه ألف ألف درهم يعني مليوناً أنفقها كلها في تحصيل الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه.

وكان السلف أشد حرصاً على الوقت عندما دخل ابن معين على عبد بن حميد وسأله عن حديث حماد قال: لو كان من كتابك فقام الشيخ ليأتي بالكتاب ليحدث به فقبض يحيي على ثوبه وقال: أمليه علي الآن فإني أخاف أن لا ألقاك فأمليته عليه ثم أخرجت كتابي فقرأته عليه. يخاف أن يقبض أحدهما في هذه البرهة.

ومكحول كان عبداً لما أعتق بمصر قال: لم أدع بها علماً إلا حويته فيما أرى ثم أتيت العراق ثم المدينة فلم أدع بهما علما إلا حويته ثم أتيت الشام فغربلتها.

وأمير المؤمنين في الحديث شعبة وما أدراك ما شعبة يقول: إني لا أذكر الحديث يفوتني فامرض

ويقول عبد الرحمن ابن الإمام أبي حاتم الرازي " ربما كان يأكل وأقرأ عليه ويمشي وأقرأ عليه ويدخل الخلاء وأقرأ عليه ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه

وابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية كان فقيهاً فإذا أراد أن يصنف تُوضَع له الأقلام مبرية ثم يولي وجهه إلى الحائط ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره فيكتب مثل السيل إذا انحدر.

## ٥ - التقليل من الأكل:

روينا في مسند الإمامُ أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنه، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ -أي إن كان لابُدَّ- فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ.

وفي الحكمة: إنّ البِطْنَة تُذهب الفِطْنَة". وقديماً قالوا: "مَن أكل كثيرًا شرب كثيرًا فنام كثيرًا فخسر كثيرًا."

وقال عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني في نونيّته حاثًّا طالب العلم على التقليل من الأكل:

لا تَحْشُو بطنَك بالطّعام تَسَمُّنًا ... فجُسُومُ أهل العلم غير ثِمَانِ
أَقْلِل طعامَك ما استطعتَ فإنّه ... نَفْعُ الجُسُوم وصحّة الأبدان
واملك هَوَاكَ بضبطِ بَطْنِك إنّه ... شَرُّ الرِّجال العاجز البَطْنَا "

## ٦- الجد والاجتهاد:

ويبذل غاية جهده ووسعه في تحصيله، فإن العلم لا ينال براحة الجسد، وقد قال الشافعي رحمه الله: " لا يطلب هذا العلم من يطلبه بالتملل وغنى النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس، وضيق العيش وخدمة العلم أفلح ".

فطلب العلم من معالي الأمور، والعُلَى لا تُنال إلا على جسر من التعب

وقال جعفر بن دروستوية: كنا نأخذ المجلس عند علي بن المديني وقت عصر اليوم لمجلس الغد نقعد طول الليل مخافة ألا نجد من الغد موضعاً نسمع فيه.

وأسد بن الفرات المجاهد الذي مات شهيدا في جزيرة صقلية وحفظ القرآن والموطأ وتفقه على مذهب مالك وكان أمير المجاهدين في جيش صقلية واستشهد وفي يده اللواء وهو يقرأ سورة يس لما انقطع لقراءة القرآن وعلومه حضر عند محمد بن الحسن الشيباني فقال له : أني قليل النفقة، والسماع منك نذر والطلبة كثير فما حيلتي ، فقال له محمد بن الحسن : اسمع مع العراقيين وقد جعلت لك الليل وحدك فتبيت عندي وأسمعك قال أسد : وكنت أبيت عنده وينزل إلي ويجعل بين يديه قدحا فيه الماء ثم يأخذ في القراءة فإذا طال الليل ونعست ملء يده ونضح وجهي بالماء فأنتبه فكان ذلك دأبه ودأبي حتى أتيت على ما أريد من السماع .

الشافعي – رحمه الله – يقول: كانت نهمتي في الرمي، تعلم الرماية وطلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرةٍ عشرةً وسكت عن العلم فقال عمرو بن سواد: أنت والله في العلم أكبر منك في الرمي.

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – كان يجيد الرمي فقد ذكر بعض أصحابه قال: كنا معه مرة في الفلاة فطار طائر فأخذ الشيخ البندقية فصاده والطائر في الهواء بدون تدقيق. فكان يخرج لأجل الرماية وليس لأجل الصيد.

والشافعي جزء الليل ثلثه الأول يكتب وفي الثاني يصلي وفي الثالث ينام.

وقد أُشْكِل على بعض النحويين باب من النحو أنفق ثمانين ألف درهم حتى حذقه. وقال الطبري يوماً لطلابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ يقولون: كم قدره فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، قالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، قال: إنّا لله ماتت الهمم فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولما أراد أن يكتب التفسير قال لهم نحواً من ذلك ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ

وقد أصبح ابن حزم عالماً بموقف فقد شهد جنازة داخل المسجد فجلس ولم يركع ركعتي تحية المسجد فقال له رجل: قم صلي تحية المسجد كان عمرة ستة وعشرين سنة فقام وصلى ركعتين فلما رجعوا من الصلاة على الجنازة دخل المسجد فأراد أن يصلي ركعتين قام فقال: اجلس ليس هذا وقت صلاة فانصرفت وقد حزنت وقلت للأستاذ الذي رباني دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن داحون فقصدته فأعلمته بما

جرى فدلني على موطأ مالك، فبدأت عليه وتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحوا من ثلاثة أعوام.

وكان الفيروزابادي لا ينام حتى يحفظ مائتي سطر والنووي كل يوم كان يقرأ اثني عشر.

قال أبو تمام مخاطباً نفسه:

ذريني أنالُ ما لا يُنال من العُلى... فصَعْبُ العلى في الصعب والسَّهْلُ في السَّهل

تريدين إدراك المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبَر النحـــل

وقال آخر:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جُهد النفوس وألقوا دونه الأُزرا

وكابدوا المجد حتى ملَّ أكثرُهُم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تَلْعَقَ الصَبِرَا

وقال أبو سليمان الداراني: إذا رأيت الرجل ينام عند الحديث فاعلم أنه لا يشتهيه فإن كان يشتهيه لطار نعاسه.

وقال رجل لخالد بن صفوان ما لي إذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار وتتناشدون الاشعار وتتدارسون الآثار وقع علي النوم قال لانك حمار في مسلاخ إنسان فاصبر وصابر ورابط فلئن كان الجهاد ساعةً من الصبر، فصبر طالب العلم إلى نهاية العمر.

كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال الشافعي: "حقّ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كلّ عارض دون طلبه"

وقال سعيد بن جبير: "لا يزال الرجل عالماً ما تعلّم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون"

وقال الفضل بن سعيد بن سلم قال كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه فعزم على تركه فمر بماء يتحدر من رأس جبل على صخرة قد أثر الماء فيها فقال الماء على لطافته قد أثر في صخرة على كثافتها والله لأطلبن العلم فطلب فأدرك الجنيد بن محمد يقول باب كل علم نفيس جليل بَذْلُ المجهودِ

والإمام أحمد -رحمه الله- لما بلغ ما بلغ وهو يحمل المِحْبَرة، قال له الطلابُ: وأنت في هذا العمر، وقد بلغت ما بلغت؟! فقال: مع المِحْبَرَة إلى المقبرة.

وقال سعيدُ بن جُبير -رحمه الله: "لا يزال الرّجلُ عالمًا ما تعَلّم، فإذا ترك التّعلُّمَ وظَنّ أنّه قد استغنى فهو أجهلُ ما يكون".

يقول ابن الجوزي – رحمه الله: كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلد.

قال الذهبي: ما علمت أحداً من العلماء صنف مثل هذا الرجل كان يجمع برايات أقلامه فلما مات سُخِّن به الماء الذي غسل به ففاض منها من برايات الأقلام.

وكان الشيخ الحكمي يرعى الغنم في جيزان وقد وهبة الله سرعة في الحفظ والذكاء وقيض الله له شيخه الشيخ عبد الله القرعاوي فأخذ بيده فصار من العلماء ومات وعمره خمس وثلاثون سنة

يقول القيرواني: وجدوا في آخر كتاب لعباس بن الوليد الفارسي أنه درسه ألف مرة.

وقال أبو محمد بن عبد الله بن إسحاق بن التبان أنه درس المدونة لمالك ألف مرة.

وقال أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري قال: قرأت مختصر ابن عبد الحكم خمسمائة مرة

والأسدية خمسة وسبعين مرة

والموطأ خمس وأربعين مرة

والمختصر للبرقي سبعين مرة

والمبسوط ثلاثين مرة

والبخاري أكثر من ستين مرة

ومسلم نحواً من عشرين.

وفي ترجمة محمد بن عبد الباقي من البداية والنهاية أنه قال:

من خدم المحابر خدمته المنابر.

العلم صيدٌ والكتابة قيدُه ... قيِّدْ صُيودَك بالحبالِ الواثقة

فمن السفاهة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقة

## ٧- التخلق بأخلاق السلف:

والآداب الحسنة التي تليق بطالب الحديث الشريف حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم –

قال أبو عاصم النبيل: " من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدين، فيجب أن يكون خير الناس ".

وقال ابن سيرين: "كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم"وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: قال لي أبي: "يا بني، ائت الفقهاء والعلماء، وتعلّم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإنّ ذاك أحبّ إليّ لك من كثير من الحديث"

وقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أبو مسلم الكجي قال: وقال أحمد بن جعفر الختلي: لما قدم الكجي بغداد أملى في رحبة غسان فكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم الآخر ويكتب الناس عنه قياماً ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفا وأربعين ألف محبرة سوى النظارة.

قلت ومع كثرة العدد غير أنهم كانوا في غاية الأدب وقد قال ابن المبارك:

أيها الطالبُ علمًا ... ايت حماد بن زيد

فالتمس حِلما وعِلما ... ثم قيِّده بقيد

وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: "من فقه الرجل: ممشاه، ومدخله، ومخرجه مع أهل العلم"

وأشرف الليث بن سعد على بعض أصحاب الحديث فرأى منهم شيئاً فقال: "ما هذا؟ أنتم إلى يسير من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم".

وقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة عبد الرحمن بن مهدي قال أحمد بن سنان: كان عبد الرحمن لا يتحدث في مجلسه ولا يبرى قلم ولا يقوم أحد كأنما على رءوسهم الطير أو كأنهم في صلاة.

وفي ترجمة سعيد بن عبد العزيز قال أبو نصر الفراديسي: كنت أسمع وقع دموعه على الحصير في الصلاة.

وفي ترجمة وكيع بن الجراح بن مليح قال سلم بن جنادة جالست وكيعًا سبع سنين فما رأيته بزق ولا مس حصاة ولا جلس مجلسه فتحرك ولا رأيته إلا مستقبل القبلة وما رأيته يحلف بالله.

وفي ترجمة علي بن محمد بن سهل أبو الحسن الصائغ، أحد الزهاد العباد أصحاب الكرامات من البداية والنهاية أن ممشاد الدينوري شاهد أبا الحسن هذا يصلي في الصحراء في شدة الحر ونسر قد نشر عليه جناحه يظله من الحر.

## ٨- التواضع:

قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ [لقمان: ١٨]

وقد روينا في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار، أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتّى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد

ويقول بدرُ الدين ابن جَمَاعَة: "لا يَسْتَنْكِفْ -أي الطّالب- أن يستفيدَ ما لا يعلمه مما هو دونه والحِكْمَةَ ضَالّةُ المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، وكان جماعةٌ من السّلف يستفيدُون من طلبتهم ما ليس عندهم"

وقال الحُمَيديُّ -وهو تلميذُ الشّافعي: "صَحِبْتُ الشّافعيّ من مكّة إلى مصر، فكنتُ أستفيدُ منه المسائل، وكان يستفيد مني الحديث".

وقال مجاهد رحمه الله: " لا ينال العلم مستحي ولا مستكبر "

وقال وَكِيع بن الجرّاح، وسفيان بن عُيينة، والبخاري: "لا يكون المُحَدِّثُ كاملًا، أو الرجلُ عالمًا حتى يُحَدِّثَ عمّن هو فوقه، وعمّن هو مثله، وعمّن هو دونه ولهذا قيل: "العلمُ ثلاثة أَشْبَارٍ مَن دخل في الشِّبْرِ الأوّلِ تَكَبَّر ومَن دخل في الشِّبْرِ الثاني تَوَاضَع، ومَن دخل في الشِّبْرِ الثّالث علم أنّه ما يعلم."

وقال الشافعي:

ولن تكرم النفس التي لا تهينها أهين لهم نفسي فهم يكرمونها

وقال يونسُ بن يزيد: "قال لي ابنُ شهابٍ الزُّهْرِيُّ: يا يونس، لا تُكابِر العلمَ"، وأخذ ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته ومرتبته بركاب زيد بن ثابت الأنصاري

وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وقال أحمد بن حنبل لخلف الأحمر: لا أقعد إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

وقال الغزالي: لا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع.

وقال الشافعي: "وددت أن الخلقَ تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إليّ حرف منه"
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تعلّموا العلم، وتعلّموا له السكينةَ والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمون، وليتواضع لكم من تعلِّمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء، ولا يقوم علمكم مع جهلكم)

وكتب الإمام مالك إلى الرشيد: "إذا علمت علماً فليُرَ عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره وحلمه"

وقال الإمام الشافعي: "لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح"
وقصّةَ موسى مع الخَضِر مشهورة وفيها قال الخضر لموسى لما رأى العُصفورَ يشرب من ماء البحر: "يا موسى، ما علمي وعلمُك إلى علم الله إلا مثل ما فعل هذا العصفور في البحر"

وقال الخطيب البغدادي- رحمه الله - " أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدباً، وأشد الخلْق تواضعاً، وأعظمهم نزاهة وتديناً، وأقلهم طيشاً وغضباً، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق الرسول ﷺ وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها "

وقال عبد الله بن المعتز المتواضع في طلب العلم أكثرهم علما كما أن المكان المنخفض أكثر النفاع ماء.

وقال ابن الجوزي في صيد الخاطر: وكم قد قصدني عدو فصده عني. وإذ رأيته قد نصرني وبصرني ودافع عني ووهب لي، قوى رجائي في المستقبل بما قد رأيت في الماضي. ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس. وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل.

ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام. وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي. ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رق قلبه. أو دمعت عينه. فقلت لنفسي: كيف بك إن نجوا وهلكت: فصحت بلسان وجدي: إلهي وسيدي إن قضيت علي بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي صيانة لكرمك لا لأجلي، لئلا يقولوا عذب من دل عليه.

إلهي قد قيل لنبيك صلى الله عليه وسلم. أقتل ابن أبي المنافق فقال: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. إلهي فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل عليك.

حاشاك والله يا رب من تكدير الصافي.

لا تبر عوداً أنت ريّشته ... حاشا لباني الجود أن ينقضا

لا تعطش الزرع الذي نبته ... بصوب إنعامك قد روضا

## ٩- الصبر:

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ [هود: ١١٥]

وقال تعالى أيضًا: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥]

وقال الحافظ يوسف بن أحمد في الأربعين البلدنية له: لما رحلت إلى شيخنا شيخ الوقت ومسند العصر ورحلة الدنيا أبي الوقت، قدر الله لي الوصول إليه آخر بلاد كرمان على طرف بادية سجستان، فسلمت عليه وقبلته، وجلست بين يديه، فقال لي: ما أقدمك هذه البلاد قلت: كان قصدي إليك، ومعولي بعد الله عليك. وقد كتبت ما وقع إلي من حديثك بقلمي، وسعيت إليك بقدمي لأدرك بركة أنفاسك، وأحظى بعلو إسنادك. فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي لما سلمت علي، ولا جلست بين يدي. ثم بكى بكاء طويلاً وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، وأجعل تحت الستر ما ترضى به عنا. وقال: يا ولدي، تعلم أني رحلت أيضاً لسماع الصحيح ماشياً مع والدي من هراة إلى الداوودي ببوشنج، وكان لي من العمر دون عشر سنين، فكان والدي يضع على يدي حجرين ويقول: احملهما فكنت من خوفه أحفظهما بيدي، وأمشي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت أمرني أن ألقي حجراً واحداً، فألقيه ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي، فيقول لي: هل عييت؟ فأخافه فأقول: لا. فيقول: لم تقصر في المشي فأسرع بين يديه ساعة، ثم أعجز، فيأخذ الحجر الآخر من يدي ويلقيه عني، فأمشي حتى) أعطب، فحينئذ كان يأخذني ويحملني على كتفه. وكنا نلتقي على أفواه الطرق بجماعة من الفلاحين وغيرهم من المعارف، فيقولون: يا

شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج، فيقول: معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ورجاء ثوابه والانتفاع به. وكان ثمرة ذلك حسن نية والدي، رحمه الله، أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبق من أقراني أحد سواي، حتى صارت الوفود ترحل إلي من الأمصار. ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي أن يقدم لي شيئاً من الحلواء، فقلت: يا سيدي قراءتي بجزء علي بن الجهم أحب إلي من أكل الحلواء. فتبسم وقال: إذا دخل الطعام خرج الكلام. وقدم لنا صحناً فيه حلواء الفانيذ. فأكلنا، ثم أخرجت الجزء وسألته إحضار الأصل، فأحضره وقال: لا تخف ولا تحرص، فإني قد قبرت ممن سمع علي خلقاً، فسل الله السلامة. فقرأت الجزء وسررت به، ويسر الله سماع الصحيح وغيره مراراً، ولم أزل في صحبته وخدمته إلى أن توفي في بغداد في ليلة الثلاثاء من ذي القعدة. قلت: بيض لليوم، وهو سادس الشهر.

وقال ابن أبي حاتم: كنا بمصر سبعة اشهر لم نأكل فيها مرقة نهارنا ندور على الشيوخ وبالليل ننسخ ونقابل فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا فقال هو عليل اليوم فمررنا بالسوق فرأينا سمكة أعجبتنا اشتريناها فلما رجعنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا ولم تزل السمكة ثلاثة أيام وكادت أن تنتن فأكلناها نيئة لم نتفرغ أن نشويها.

و قال ابن فارس رحمه الله تعالى :

إذا كان يُؤذيكَ حرُّ المصيفِ ... ويُبس الخريف وبرد الشتا

ويُلهيك طيبُ هواءِ الربيع ... فأخذك للعلم قل لي متى؟

وقال أبو يعلى الموصلي:

اصبر على مضض الإدلاج بالسحر ... وبالرواح على الحاجات والبكر

لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها ... فالنجح يتلف بين العجز والضجر

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يطالبه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقال عكرمة: طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار قائم. وكان ابن مسعود يفتي في صف وتلميذه في صف على أبواب كنده في الحج.

قال علي بن الحسين: قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد يعني بعد العشاء فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته فما زلنا نتذاكر هذا يقول حديثا وهذا يقول حدثنا قال: حتى جاء المؤذن للصبح.

## ١١- الرحلة:

قال سعيد بن المسيب المتوفى سنة(٩٤هـ): "إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام" وقبل الرحلة يبدأ بأرجح شيوخ بلده إسناداً وعلماً وشهرة وديناً فيتعلم على يديه، فإذا فرغ ارتحل إلى البلاد الأخرى، للقاء الشيوخ والعلماء، للاستفادة من مذاكرتهم ومجالستهم

وقد رحل جابر بن عبد الله رضي الله عنه إلى عبد الله بن أُنيس شهراً كاملاً في طلب حديث واحد.

ورحل سعيد بن جبير إلى شيخه ابن عباس ليسأله عن قراءة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]

هل هي منسوخة؟ قال: ما نسخها شيء

والحسن البصري رحل إلى كعب بن عجرة الصحابي قصته معروفة في قضية الحج عندما ملأ القُمّل شعره فأذن له بحلق شعره وإخراج الفدية.

وقد رحل الحسن البصري إلى كعب بن عجرة في الكوفة؟ سافر قال له: ما كان فداؤك حين أصابك الأذى، قال: شاة.

وأبو حاتم الرازي يقول: أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، الفرسخ خمسة كيلومترات يعني خمسة آلاف كيلو مشاها على قدميه وليس على راحلة أو اليوم بالقاطرة أو الباخرة أو الطائرة!!! ويقول: لم أزل أحصى فلما زاد على ألف فرسخ تركته، أي الإحصاء.

قال: أما ما سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فما لا أحصى كم مرة ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة وخرجت من البحر بالقرب من مدينة سرى من المغرب

الأقصى إلى مصر ماشياً ومن مصر إلى الرملة ماشياً ومن الرملة إلى بيت المقدس ومن الرملة إلى عسقلان ومن الرملة إلى طبرية ومن طبرية إلى دمشق ومن دمشق إلى حمص ومن حمص إلى انطاكيا ومن انطاكيا إلى طرسوس ثم رجعت من طرسوس إلى حمص وكان بقي علي شيء من حديث أبي اليمان أحد الرواة فسمعته ثم خرجت من حمص إلى بيسان ومن بيسان إلى الرقة ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل ومن النيل إلى الكوفة كل ذلك ماشيا.

هذا سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين وخرجت المرة الثانية وكان سني في هذه الرحلة سبع وأربعون.

ورحلة شعبة معروفة مشهورة قال نصر بن حماد الوراق قال كنا قعودا على باب شعبة نتذاكر قال فقلت حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال كنا نتناوب رعاية الإبل على عهد رسول الله ﷺ فجئت ذات يوم والنبي ﷺ جالس وحوله أصحابه فسمعته يقول من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل المسجد فصلى ركعتين واستغفر الله غفر الله له قال فقلت بخ بخ قال فجذبني رجل من خلفي فالتفت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال الذي قال قبل أحسن قال من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قيل له ادخل من أي أبواب الجنة شئت قال فخرج الي شعبة فلطمني ثم دخل ثم خرج فقال ما له قعد يبكي فقال له عبد الله بن إدريس انك أسأت اليه فقال أما تنظر ما يحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة انا قلت لأبي إسحاق من حدثك قال حدثني عبد الله بن عطاء عن عقبة قلت سمع عبد الله بن عطاء من عقبة قال فغضب

ومسعر بن كدام حاضر فقال أغضبت الشيخ فقال مسعر عبد الله بن عطاء بمكة فرحلت الى مكة لم ارد الحج أردت الحديث فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته فقال سعد بن إبراهيم حدثني فقال لي مالك بن أنس سعد بن إبراهيم حيٌ بالمدينة لم يحج العام فرحلت إلى المدينة فلقيت سعداً فقال الحديث من عندكم زياد بن مخراق حدثني قال شعبة فقلت أيش هذا الحديث بينا هو كوفي إذ صار مدنياً إذ رجع الى البصرة قال فرجعت الى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته فقال ليس هو من حاجتك قلت حدثني به قال لا تريده قلت حدثني به قال حدثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة قال شعبة فلما ذكر شهراً قلت : دمر على هذا الحديث لو صح لي مثل هذا الحديث كان أحب الي من أهلي ومالي ومن الناس أجمعين.

وعقبة بن الحارث الصحابي سافر من مكة إلى المدينة ليسأل عن مسألة واحدة في الرضاع.

وقد سار جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد من المدينة إلى الشام طرق الباب خرج إليه اعتنقه قال حديث بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت وأنا لم أسمعه.

ورحل محمد بن خزيمة ومحمد بن جرير ومحمد بن هارون الروياني ومحمد بن مصر المروزي في طلب العلم بمصر جمعوا نفقاتهم حتى فنيت النفقات وليس عندهم ما يقوتهم وأضر بهم الجوع اجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه يتناقشون في الجوع الذي مسهم فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام لأنهم لا يريدون واحد منهم يخرج ويسأل لكن الآن يهلكون من الجوع خرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال: لأصحابه أمهلوني حتى اصلي صلاة

الاستخارة فاندفع في الصلاة فإذا برجال من قبل السلطان والي مصر احمد بن طولون يدقون الباب ففتحوا الباب قال: أيكم محمد بن نصر قيل هو ذا فدفع إليه صرة فيها خمسين دينار يعني من الذهب ، قال : أيكم محمد بن جرير فأعطاه خمسين دينارا وكذلك للرويان ولابن خزيمة ثم قال لهم : إن الأمير كان قائلا ، نائم نوم القيلولة فرأى في المنام خيالا أو طيفا يقول له إن المحامد جياع وأنت نائم قم فقام ، سأل من هم المحمدون ؟ هل يوجد مكان لهم ؟، قالوا: نعم دخلوا البلد منذ كذا وكذا قال: فأنفذ إليهم هذه الصرر وأقسم عليهم إذا نفدت أن تبعثوا إلينا ليزيدكم.

وقد ذكر ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة وعنه ابن العماد في شذرات الذهب قال : قال أبو القاسم عبد الله بن أبي الفوارس محمد بن علي بن حسن الخزاز الصوفي البغدادي ببغداد قال: سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري يقول: كنتُ مجاورًا بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابني يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيسًا من إبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدتُ فيه عقدًا من لؤلؤ لم أرَ مثله، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعَه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يَرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس، فقُلت له: تعالى إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعَدَدَه، والخيط الذي هو مَشدُود به، فأخرجته ودَفعته إليه. فسلم إليّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب عليّ أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ. ألح عليَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني: فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمتُ أنا على قطعة من المركب، فبقيت مُدّةً في البحر لا أدري أين أذهب، فوصَلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعَدتُ في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن. فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.

قال. ثم إني رأيتُ في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنتُ أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبيَّةً يتيمة، ولها شيء من الدُنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعتُ، فقالوا: لا بل، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إليَّ مددتُ عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ، كسرتَ قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصتُ عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلتُ: ما بكم. فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدتُ في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي رد عليَّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيتُ معها مدة ورزقتُ منها بولدين. ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار. وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال.

## ١١- الأدب:

قال عطاء بن أبي رباح المتوفى سنة(١١٤هـ): "إني لأسمع الحديثَ من الرجلِ، وأنا أعلمُ به منه فأُريه من نفسي أني لا أُحسن منه شيئا"

وقد روينا في صحيح البخاري في كتاب العلم من خديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِى مَا هِىَ». فَوَقَعَ النَّاسُ فِى شَجَرِ الْبَوَادِى. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «هِىَ النَّخْلَةُ»

وقال سفيان بن عيينة: إنّ رسولَ الله ﷺ هو الميزانُ الأكبرُ، فالميزان الأكبر الذي يُرجع إليه في بيان الأدب الذي يتحلّى به العالِمُ والمُتَعَلِّمُ هو رسول ﷺ فهديه هو أكملُ الهدي،

وقال عبد الله بن المبارك وهو من علماء القرن الثاني الهجري: "كانوا يَطلبون الأدبَ ثم العلْمَ."

وقال مالك -رحمه الله- المتوفى سنة (١٧٩ :هـ) لا يُؤخذ العلم عن أربعة: معلنٍ السفهَ، وصاحب هوًى يدعو الناس إليه؛ ورجل معروف بالكذبِ في أحاديث الناس، وإن كان لا يكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم ولا رجل له فضل وصلاح لا يَعرف ما يُحدث به وقال حبيب ابن الشهيد لابنه يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب .. أحب إلي من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم".

ووصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين مشهورة وفيها وصى الرشيد مؤدب ولده الأمين فقال : يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه

الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة.

وقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة هشيم قال أحمد بن حنبل: لزمت هشيماً أربع سنين ما سألته عن شيء إلا مرتين هيبة له، وكان كثير التسبيح بين الحديث يقول لا إله الله يمد بها صوته.

## ١٣- العمل به:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢-٣]

وروينا في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤْتَى بالرَّجُلِ يومَ القِيَامَةِ فيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْطَابُ بَطْنِه، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيه أَهلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ :يَا فُلان، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرنَا بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وأَنهَى عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ "

وقال بشر الحافي: " يا أصحاب الحديث أدوا زكاة الحديث، اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث "

وقال وكيع: " إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به ".

فمن علم ولم يعمل فقد أشبه اليهود الذين مثلهم الله بأقبح مثلٍ في القرآن فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥]

ومن عمل بلا علم فقد أشبه النصارى الذين وصفهم الله في القرآن بالضالين.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل)

وقال عبد الله بن مسعود قال: "يا أيُّها الناسُ، تَعَلَّموا، فمَن عَلِمَ فليعمل"

وقال عون بن عبد الله قال: قلتُ لعمر بن عبد العزيز - :يُقال: "إن استطعتَ أن تكون عالمًا فكن عالمًا، فإن لم تستطع فكُنْ مُتعلِّمًا، فإن لم تكن مُتَعَلِّمًا فأحبهم، فإن لم

تحبهم فلا تبغضهم"، فقال عمر أي ابن عبد العزيز: "سبحان الذي جعل له مخرجًا "
وقال الشافعي: "ليس العلم ما حُفِظ، العلم ما نفع"
وقال أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه-: "كان أصحاب النبي ﷺ إذا جلسوا مجلسا كان حديثُهُم الفقه"، يعني الفهم، إلا أن يقرأ رجل سورةً أو يأمروا رجلا أن يقرأ سورة"،
وقال التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السُّلَمِي: "حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزن عشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعا
وقال بعض السلف: "يا حملة العلم، اعملوا فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيَهم، يخالف عملهم علمهم، ويخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حِلقاً يباهي بعضهم بعضاً، حتى إنّ الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدَعَه، أولئك لا يصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى"
وقال ابن المبارك: "قال لي مَخلد بن حسين: "نحن إلى كثيرٍ من الأدب أحوجُ منا إلى كثيرٍ من العلم".
وقال عيسى بن حماد: "سمعت الليث بن سعد يقول وقد أشرف على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئًا فقال: ما هذا؟ أنتم إلى يسيرٍ من الأدب أحوج منكم إلى كثيرٍ من العلم."
ومن العمل بالعلم دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن، وملازمة خشيته سبحانه، قال الإمام أحمد: "أصل العلم الخشية"

وقال عامر بن شُراحيل الشعبي المتوفي سنة (١٠٣هـ): "كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، ونستعين على طلبه بالصبرِ" ومن عَمِلَ بما عَلِمَ؛ أورثه الله علم ما لم يعلم.

والإمام أحمد -رحمه الله- إمام أهل السنة يقول: "ما بلغني حديث إلا عملت به، وما عملت به إلا حفظته"

وقال وكيع بن الجراح المتوفى سنة(١٩٧هـ) إذا أردت أن تحفظ الحديث؛ فاعمل به.

وقال الزهري: "إن للعلم غوائل، فمن غوائله أن يترك العمل به حتى يذهب، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه، وهو شر غوائله"

وسئل سفيان الثوري: طلب العلم أحبّ إليك أو العمل؟ فقال: "إنما يراد العلم للعمل، فلا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم"

وقال الخطيب البغدادي: "وقد رأيت خلقًا من أهل هذا الزمان ينتسبون إلى العلم ويعدون أنفسهم من أهله المختصين بسماعه ونقله، وهم أبعد الناس مما يدعون إليه، وأقلهم معرفة بما ينتسبون إليه". ثم ذكر عن حال كثيرٍ منهم أنّه يطلب العلمَ ويدعو إلى العلم لكنّه لا يمتثل لما يدعو إليه.

وقال الحسن البصري - رَحِمَهُ اللهُ -: "كان الرجل يطلب العلم فلا يلبس أن يُرى ذلك في تَخَشُّعِهِ وهديه ولسانه ويده."

وقال سفيان الثوري -رَحِمَهُ اللهُ: "يهتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل"

وقال عبد الله بن المبارك: "سُئل سفيان الثوري: طلب العلم أحب إليه أو العمل؟ فقال :إنّما يُراد العلم للعمل، فلا تدع طلبَ العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم."

وقال أبو عَصْمَة: "بِتُّ ليلةً عند الإمام أحمد، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله رجلٌ يطلب العلمَ لا يكون له وِردٌ من الليل؟"!

وقال إبراهيم الحربي أحد تلاميذ الإمام أحمد: "صحبتُ أحمد ابن حنبل عشرين سنةً، صيفًا وشتاءً، حرًّا وبردًا، ليلًا ونهارًا؛ فما لقيته لقاةً في يومٍ إلا هو زائدٌ عليه بالأمس."

وقال ابن الجوزي في صيد الخاطر لقيت مشايخ، أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم.

وكان أنفعهم لي في صحبة العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه.

ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع خطأ.

ولقيت عبد الوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه.

فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد.

وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل.

ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً.

وربما سئل الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن.

وكان كثير الصوم والصمت فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما.
ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.
ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فراحوا عن القلوب وبدد تفريطهم ما جمعوا من العلم. فقل الانتفاع بهم في حياتهم، ونسوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحد أن يلتفت إلى مصنفاتهم.
فالله الله في العلم بالعمل فإنه الأصل الأكبر.
والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة فقدم مفلساً مع قوة الحجة عليه.

## ١٤- طلب العلم النافع:

قال الإمامُ أحمد - رحمه الله: "شَرُّ الحديثِ الغَرَائِبُ التي لا يُعمَل بها ."

وروينا بإسنادنا إلى الخطيب البغدادي في كتابه "الفقيه والمتفقه"، عن هشام بن عبد الملك الطيالسي المتوفى عام ٢٢٧، قال" : بينما أنا عند شعبة ذات يوم، إذ جاءه رجل غريب فقال يا أبا بسطام حدثني بحديث حماد عن إبراهيم أنه قال لأن يلبس الرجل في طلب العلم النعلين زمامهما من حديد فلم يحدثه شعبة به فقال يا أبا بسطام أنا رجل من أهل المغرب أتيتك لهذا الحديث من مسيرة ستة أشهر فقال ألا تعجبون من هذا جاء من مسيرة ستة أشهر يسألني عن حديث لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً اكتبوا حدثني قتادة عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من نام عن صلاة او نسيها فليصلها إذا ذكرها ثم قال له إذا سألت يا أخا أهل المغرب فسل عن مثل هذا وإلا فقد ذهبت رحلتك باطلاً وقال تعالى: ﴿ولكن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩]،

قال الضحاك: "حقٌّ على كلِّ مَنْ تعلم القرآن أن يكون فقيها"

وقال ابنُ عقيل - رحمه الله -: "لو سكت المُحقُّون ونَطَقَ المُبْطِلُون؛ لتعَوَّد النَّشْءُ على المُنْكَرات، فإذا رامَ المُتدَيِّنُ سُنَّةً ظنّها الناسُ بِدْعَةً فأنكروها".

ويقول ابن مهدي -رحمه الله: "لا يكون إمامًا في العلم مَن أخذ بالشَّاذِّ من العلم".
ومن الطرائف التي حصلت لأبي عبيد القاسم بن سلام: جاءه رجل فسأله عن الرباب وأبو عبيد من كبار علماء اللغة والغريب، كان يعرف الألفاظ الغريبة مدخلها ومخرجها؟

فقال أبو عبيد: هو الذي يتدلى دُوَين السحاب -أي: قريب السحاب- وأنشده بيتاً لـ عبد الرحمن بن حسان، وأتى بالشاهد الذي يدل على هذا المعنى:

كأن الرباب دُوَين السحاب نعامٌ تُعلق بالأرجلِ

فقال: لم أُرِد هذا، قال أبو عبيد: إذا كنت تريد إطلاقاً آخر، فالرباب يطلق على اسم امرأة، وأنشد أبو عبيد بيتاً فيه الدلالة على أن الرباب اسم امرأة قائلاً:

إن الذي قسم الملاحة بيننا وكسا وجوه الغانيات جمالا

وهب الملاحة للرباب وزادها في الوجه من بعد الملاحة خالا

فقال: لم أُرِدْ هذا -أيضاً- فقال أبو عبيد: عساك أردتَ قول الشاعر:

ربابٌ ربةُ البيتِ تصب الخل في الزيتِ

لها سبعُ دجاجاتٍ وديكٌ حسن الصوتِ

قال: هذا أردت، هذه ربما هي نشيدة كانت عند الأطفال ينشدونها في ذلك الوقت:

ربابٌ ربةُ البيتِ تصب الخل في الزيتِ

لها سبعُ دجاجاتٍ وديكٌ حسن الصوتِ

فقال: هذا أردت، فقال: مِن أين أنت؟ قال: مِن البصرة.

قال: على أي شيءٍ جئت؟ على الظهر -أي: الدابة- أم على الماء -أي: في سفينة أو قارب؟ قال: في الماء.

قال: كم أعطيت الملاح؟ قال: أربعة دراهم.

قال: اذهب استرجع منه ما أعطيته، وقل: لم تحمل شيئاً، فعلام تأخذ مني الأجرة؟ لأن المعنى ال فهذا يصح أن يكون نشيدي رحل من أجله ليست من العلم النافع

إنما تصح أن يكون نشيد أطفال وكذلك القصيدة المشهورة صوت صفير البلبلي وقد ذكرها الأتليدي في كتابه "إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس":

قال: يروى أن أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور -رحمه الله- كان يحفظ الشعر من أول مرة يسمعه فيها، وله مملوك يحفظه من مرتين، وله جارية تحفظه من ثلاث مرات، وكان أبو جعفر إذا جاءه شاعر بقصيدة قال له: إن كانت هذه القصيدة لم تسمع من قبل نعطيك زنة ما كتبت عليه ذهباً، أما إذا كانت قد سمعت فليس لك شيء، فيوافق الشاعر ويلقيها على مسامع الخليفة، فيحفظها الخليفة ويلقيها على الشاعر وكأنها قد سمعت من قبل،

فيقول الشاعر: إنها من بنات أفكاري يا أمير المؤمنين، فيقول له الأمير: لا، ولَدَيَّ عبد يحفظها أيضاً فيأتي بالعبد فيلقيها عليه، ثم ينادي على الجارية التي عنده كي يزيد من تأكيد كلامه أن القصيدة قد سمع الناس بها من قبل، فتاتي الجارية وتلقيها على مسامعه، حتى يشك الشاعر في نفسه...!

وهكذا كان يفعل أمير المؤمنين مع كل الشعراء (حرصا منه على أموال المسلمين حتى لا يذهب أكثرها للشعراء) حتى سمع الأصمعي بما يفعله الأمير بالشعراء، وقد أسف على حالهم.

وهَمَّ الأصمعي إلى أمير المؤمنين، وقد تنكر بلباس إعرابي، وجعل له جدائل وارتدى جلد شاة، فلما قدم على الأمير قال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، أنا أعرابي أتيت إليك ولدي قصيدة أود أن أقولها لك. فقال الأمير: أتعرف شرطنا أيها الأعرابي؟ فقال الأصمعي: نعم يا أمير المؤمنين أعرفه. فأذن له الأمير. فقال الأصمعي:

صوت صفير البلبل هيج قلبي الثمل
الـماء والزهر معا مع زهر لحظ المقل
وأنـــت يـا سيدلي وسيدي ومولى لي
فكـم فكـم تيـــمني غزيل عقيقل
قـطفتها من وجنة من لثم ورد انخجل
فقـال لا لا لا لا لا وقد غدا مهرول
والخوذ مالت طربا من فعل هذا الرجل
فولـولت وولـولت ولي ولي يا ويل لي
فقلت لا تـولولي وبيِّني اللؤلؤ لي
قالت له حين كذا انهض وجد بالنقل
وفتيـة سقـوننـي قهوة كالعسللي
شممتها بأنـفي أزكى من القرنفل

في وسط بستان خلي بالزهر والسرور لي
والعود دندن دنا لي والطبل طبطب طب لي
والسقف سق سق سقلي والرقص قد طاب إلي
شوى شوى وشا هش على ورق سفرجل
وغرد القمري يصيح ملل في ملل
ولو تراني راكباً على حمار أهزل
يمشي على ثلاثة كمشية العرنجل

والناس ترجم جملي بالسوق بالقلقلي
والكل كعكع كع كع خلفي ومن حويللي
لكن مشيت هاربا من خشية العقنقلي
إلى لقاء ملك معظم مبجل
يأمر لي بخلعة حمراء كالدم لي
أجرٌ فيها ماشيا مبغددا للذيل
أنا الأديب الألمعي من حي أرض الموصل
نظمت قطعا زخرفت يعجز عنها الأدب لي
أقول في مطلعها صوت صفير البلبل

فلم يستطيع أمير المؤمنين أن يحفظها لصعوبة كلماتها، فنادى على المملوك الذي عنده فسأله إن كان قد سمع بهذه القصيدة (بمعنى: هل حفظتها؟)، ولكن العبد أشار إلى أنه لم يسمع بها من قبل، فنادى على الجارية وسألها نفس السؤال، ولكن جوابها لم يكن أفضل من جواب المملوك. حينها قال الأمير: أحضر ما كتبت عليه القصيدة. وكان الأصمعي قد كتب القصيدة على عمود من الرخام قد ورثه أبوه عن جده، فأتى به بمساعدة أربعة من الرجال بسبب ضخامة هذا العمود، وحينما شاهده أمير المؤمنين اندهش تماماً، فأمر بوزن العمود، وإذا به يزن ثلاثة أرباع بيت المال، فأعطاه بوزنه ذهباً كما كان يعد بذلك، فأخذ الأصمعي الذهب الذي منحه إياه أمير المؤمنين وأراد الخروج من مجلسه، فمنعه الوزير، وقال: يا أمير المؤمنين ما أظن هذا إلا الأصمعي.حينها التفت إليه الأمير وقال: أمط اللثام عن وجهك أيها

الأعرابي.فأزال اللثام وإذا هو الأصمعي، فغضب الأمير، وقال: أتفعل هذا بأمير المؤمنين؟؟

فرد الأصمعي: نعم يا أمير، بذاكرتك قطعت أرزاق الشعراء.

فأمره الأمير أن يرد المال الذي أخذه، ولكن الأصمعي رفض أن يرده الا بشرط، فسأله الأمير ما هو الشرط؟ فقال الأصمعي: أن تعطي الشعراء جوائز على قصائدهم سواء كانت من نقلهم أو من نظمهم فقال الأمير: لا بأس نجيزهم، فرد الأصمعي المال الذي كان قد أخذه. لكن القصة فيها نظر من جهة ناقلها الأتليدي فهو مجهول والأصمعي لم يقل الشعر فلا بأس من ذكرها على سبيل الفكاهة مع بيان حالها ولا تكن أصلاً فالأولى حفظ ديوان الشافعي أو المعلقات السبع أو ديوان حسان أو المتنبي أو عنترة إلى آخر هؤلاء الفحول.

وقال الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في مفتاح دار السعادة: " وللعلم ست مراتب اولها حسن السؤال الثانية حسن الانصات والاستماع الثالثة حسن الفهم الرابعة الحفظ الخامسة التعليم السادسة وهي ثمرته وهي العمل به ومراعاة حدوده فمن الناس من يحرمه لعدم حسن سؤاله.

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري: "علمٌ بلا أدبٍ كنارٍ بلا حطب، وأدبٌ بلا علمٍ كجسمٍ بلا رُوح "

وقال حماد الراوية وهو أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي لَيْلَى: كانت العرب تقول تعجبنا من أربعة أشياء من الغراب والخنزير والكلب والسنور فأما الغراب فسرعة بكوره وسرعة إيابه قبل الليل وأما الكلب فالمعرفة تنفع عنده واما الخنزير فإنه إذا احتقر شيئا لم يدعه

حتى يأتي على أصله وأما السنور فإنه يواظب على الشيء فلا يبرح حتى يأخذه فمن طلب حاجة فليطلبها طلب الهر.

## ١٥- التورع في الفتوى:

كان ابن سيرين إذا سئل عن شيء من الحلال والحرام؛ تغير لونه، وتبدّل حتى كأنه ليس بالذي كان"

وقال عطاء بن السائب: أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليُسأل عن الشيءِ فيتكلم وإنه ليرعد"؛

وكان الإمام أحمد شديد التورع في إطلاق الحلال والحرام، ودعوى النسخ ونحو ذلك، مما يجسر عليه كثيرا "

وذُكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه قبل أن يُجيب كان يستغفر الله كثيراً

والإمام مالك -رحمه الله- وجاءه رجلٌ بعددٍ من المسائل من أقصى بلاد المغرب، فأجاب عن بعضها، واعتذر عن الباقي، فقال الرجل: وماذا أقول للناس؟ قال له: قل: إنّ مالكاً لا يدري.

## ١٦- التلقي عن الأشياخ:

قال أبو زرعة: «لا يفتي الناس صحفي، ولا يقرئهم مصحفي»

وقال بعضهم: «من أعظم البلية: تشييخ الصيحفة

وقال الإمام الشافعي -رحمه اللَّه-: «من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام.« من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة... يكن من الزيغ والتحريف في حرم ومن كان أخذه للعلم عن كتب ... فعلمه عند أهل العلم كالعدم

وقال الإمام ابن جماعة -رحمه اللَّه-: «وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق، ولم يعرف بصحبة المشائخ الحذاق»

وقال القاضي عياض -رحمه اللَّه- في ترجمة أبي جعفر الداودي الأسدي: «بلغني أنه كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاءهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك فأجابوه: اسكت لا شيخ لك! أي: لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، يشيرون أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه؛ لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان.« وأصل هذا الجواب قديم، قائم في نفوس العلماء سلفًا وخلفًا، وممن روي عنه من الأئمة المتقدمين: أبو حنيفة -رحمه اللَّه تعالى-،

كما أسند الخطيب في تاريخه قال: قيل لأبي حنيفة: «في المسجد حلقة ينظرون في الفقه»، فقال: «لهم رأس؟»، قالوا: لا، قال: «لا يفقه هؤلاء أبدًا»

وقال العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد -رحمه الله: «الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ.. والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق وهو المعلم، أما الثاني عن الكتاب، فهو جماد فأنى له اتصال النسب. وقد قيل: «من دخل في العلم وحده خرج وحده»

وهذا الذي ذكره العلامة بكر يكاد يكون محل إجماع من أهل العلم إلا من شذ عنهم مثل: علي بن رضوان المصري الطبيب المتوفى سنة ٤٥٣ هـ وقد رد عليه علماء عصره، ومن بعدهم،

قال الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمته له ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتابًا في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين وهذا غلط»

وقال الصفدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صحفي، ولا من مصحفي؛ يعني: لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف، ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف...»

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله في الموافقات: "من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به، أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام.. وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات:إحداها: العمل بما علم، حتى يكون قوله مطابقاً لفعله، فإن كان مخالفاً له، فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يقتدى به في علم..والثانية: أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم، وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا شأن السلف الصالح فأول ذلك ملازمة الصحابة

رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وأخذهم بأقواله وأفعاله واعتمادهم على ما يرد منه، كائناً ما كان، وعلى أي وجه صدر..وصار مثلُ ذلك أصلاً لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقهوا ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه، إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلما وجدت فرقة زائغة ولا أحدا مخالفا للسنة، إلا وهو مفارق لهذا الوصف".

## ١٧- توقير الشيخ:

أن يعظم شيخه ويوقره، فذلك من إجلال العلم، ومن أسباب الانتفاع بالشيخ، فيتحرى رضاه ويحذر من سخطه، ولا يطيل عليه بحيث يضجره، بل يقنع بما آتاه، ويصبر على جفوة شيخه إن بدر منه شيء من ذلك

قال الأصمعي: من لم يتحمل ذل العلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا.

وقال كعب الأحبار: ثلاثة نجد في الكتاب يحق علينا أن نكرمهم وأن نشرفهم وأن نوسع عليهم في المجالس ذو السن وذو السلطان لسلطانه وحامل الكتاب

وقال يحيى بن عبد الملك الموصلي رأيت مالك بن أنس غير مرة وكان بأصحابه من الإعظام له والتوقير له وإذا رفع أحد صوته صاحوا به وكان إلى الأدمة ما هو

وقال محمد بن اسماعيل البخاري : ما رأيت أحدا أوقر للمحدثين من يحيى بن معين

وقال محمد بن المنكدر : ما كنا ندع الراوية إلا راوية الشعر وكنا نقول للذي يروي الحديث والحكمة عالم وإذا قال الطالب للمحدث في خطابه له يا سيدي كان ذلك جائزاً وأن يأخذ بمجامع الأدب مع شيخه في جلوسه معه ، والتحدث إليه ، وحسن السؤال ، والاستماع ، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ، وترك التطاول والمماراة أمامه ، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منه ، أو الإلحاح عليه في جواب ، متجنباً الإكثار من السؤال لا سيما مع شهود الملأ ؛ فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل ، ولا تناديه باسمه مجرداً ، أو مع لقبه بل قل : يا شيخنا وإذا بدا لك خطأ من الشيخ ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك ، فإنه سبب لحرمانك من علمه ، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً ." وكان

بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب شيخي عني ولا تذهب بركة علمه مني.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من حقّ العالم عليك إذا أتيته أن تسلِّم عليه خاصَّة، وعلى القوم عامّة، وتجلس قُدَّامه، ولا تشِر بيديك، ولا تغمِز بعينَيك، ولا تقُل: قال فلان خلافَ قولك، ولا تأخذ بثوبِه، ولا تُلحَّ عليه في السؤال، فإنّه بمنزلة النخلة المُرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء)وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنّته في الجواب، وألا تُلحَّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشينّ له سرًّا، ولا تغتابنّ عنده أحدًا، ولا تطلبنّ عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجةٌ سبقت القوم إلى خدمته)

وقال الشافعي: "كنت أتصفح الورق بين يدي مالك صفحاً رفيقاً هيبة له، لئلا يسمع وقعها"

وقال طاوس: "إنّ من السنة أن توقِّر العالم" وقالت: أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع وكان في وفد عبد القيس قال لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي ﷺ ورجله وقال ثابت قلت لأنس أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبلهما.

وقال أحمد بن سنان القطان: "كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتَحَدَّث في مجلسه.. ولا يُبْرَى فيه قلم.. ولا يَبتسم أحدٌ.. فإن تحدث.. أو برى قلم.. صاح ولبس نعليه ودخل ..وكذا كان يفعل ابن نمير.. وكان من أشد الناس في هذا ..وكان وكيع أيضاً

في مجلسه كأنهم في صلاة ..فإن أنكر من أمرهم شيئاً انتعل ودخل ..وكان ابن نمير يغضب ويصيح ..وكان إذا رأى من يَبري قلماً تغير وجهه. "

وقال عبد الرحمن بن عمر : "ضحك رجل في مجلس عبد الرحمن بن مهدي فقال : من ضحك ؟! فأشاروا إلى رجل.. فقال :تطلب العلم وأنت تضحك.. لا حدثتكم شهراً."

وقال الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحًا رفيقًا هيبة له لئلا يسمع وقعها وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له وحضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه شريك، ثم عاد فعاد شريك بمثل ذلك، قال: تستخف بأولاد الخلفاء؟! قال: لا، ولكن العلم أجلّ عند الله من أن أضيعه، وينبغي أن لا يخاطب شيخه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه مِنْ بُعْدٍ بل يقول: يا شيخنا ما تقولون في كذا وما رأيكم في كذا وشبه ذلك، ولا يسميه في غيبته أيضًا باسمه إلا مقرونًا بما يشعر بتعظيمه كقوله قال الشيخ أو الأستاذ كذا، وقال شيخنا أو قال سيدنا أو نحو ذلك وإذا أوقفه الشيخ على دقيقة من أدب أو نقيصة صدرت منه وكان يعرفه من قبل فلا يظهر أنه كان عارفًا به وغفل عنه، بل يشكر الشيخ على إفادته ذلك واعتنائه بأمره، فإن كان له في ذلك عذر وكان إعلام الشيخ به أصلح فلا بأس به وإلا تركه، إلا أن يترتب على ترك بيان العذر مفسدة فيتعين إعلامه به ألا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا باستئذان سواء كان الشيخ وحده أو كان معه غيره، فإن استأذن بحيث يعلم الشيخ ولم يأذن له انصرف ولا يكرر الاستئذان، وإن شك في علم الشيخ به فلا يزيد في الاستئذان فوق ثلاث مرات أو ثلاث طرقات بالباب

أو الحلقة، وليكن طرق الباب خفيًا بأدب بأظفار الأصابع، ثم بالأصابع، ثم بالحلقة قليلاً قليلاً، فإن كان الموضع بعيدًا عن الباب والحلقة فلا بأس برفع ذلك بقدر ما يسمع لا غير، وإذا أذن وكانوا جماعة يُقَدَّم أفضلهم وأسنهم بالدخول والسلام عليه، ثم سلم عليه الأفضل فالأفضل وينبغي أن يدخل مجلس الحديث على الشيخ كامل الهيئة متطهر البدن والثياب نظيفهما بعدما يحتاج إليه من أخذ ظفر وشعر وقطع رائحة كريهة فإنه مجلس ذكر واجتماع في عبادة قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الحج: ٣٠]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢]

وقد روينا في سنن أبي داود بسند صحيح من طريق عَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ مِخْرَاقٍ عَنْ أَبِي كِنَانَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ «إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى فِيهِ وَالْجَافِى عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ».

ومتى دخل على الشيخ في غير المجلس العام وعنده من يتحدث معه فسكتوا عن الحديث أو دخل والشيخ وحده يصلي أو يذكر أو يكتب أو يطالع فترك ذلك أو سكت ولم يبدأه بكلام أو بسط حديث فليسلم ويخرج سريعًا إلا أن يحثه الشيخ على المكث، وإذا مكث فلا يطيل إلا أن يأمره بذلك وينبغي أن يدخل على الشيخ أو يجلس عنده وقلبه فارغ من الشواغل له وذهنه صاف لا في حال نعاس أو غضب أو جوع شديد أو عطش أو نحو ذلك؛ لينشرح صدره لما يقال ويعي ما يسمعه إذا حضر مكان الشيخ فلم يجده جالسًا انتظره كيلا يفوت على نفسه درسه؛ فإن كل درس يفوت لا عوض له ولا يطرق عليه ليخرج إليه، وإن كان نائمًا صبر حتى

يستيقظ أو ينصرف ثم يعود والصبر خير له، فإن ابن عباس كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت حتى يستيقظ فيقال له: ألا نوقظه لك؟ فيقول: لا، وربما طال مقامه وقرعته الشمس، وكذلك كان السلف يفعلون ولا يطلب من الشيخ إقراءه في وقت يشق عليه فيه أو لم تجر عادته بالإقراء فيه ويجلس بين يدي شيخه كجلسة الصبي بين يدي المقري أو متربعًا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله بحيث لا يُحْوِجُه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ولاسيما عند بحثه له أو عند كلامه معه فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه ولا يضطرب لضجة يسمعها أو يلتفت إليها ولاسيما عند بحث له ولا ينفض كميه ولا يحسر عن ذراعيه ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه ولا يضع يده على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه أو يستخرج منها شيئًا ولا يفتح فاه، ولا يقرع سنه، ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه، ولا يشبك بيديه أو يعبث بأزراره ولا يسند بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدة ونحوهما، أو يجعل يده عليها، ولا يعطي الشيخ جنبه أو ظهره، ولا يعتمد على يده إلى ورائه أو جنبه، ولا يكثر كلامه من غير حاجة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب، ولا يضحك لغير عجب، ولا يعجب دون الشيخ، فإن غلبه تبسم تبسمًا ولا يكثر التنحنح من غير حاجة ولا يبصق ولا يتنخع ما أمكنه، ولا يلفظ النخامة من فيه بل يأخذها من فيه بمنديل أو خرقة أو طرف ثوبه ويتعاهد تغطية أقدامه وإرخاء ثيابه وسكون يديه عند بحثه أو مذاكرته، وإذا عطس خفض صوته جهده وستر وجهه بمنديل أو نحوه، وإذا تثاءب ستر فاه بعد رده

جهده وقال بعضهم :ومن تعظيم الشيخ أن لا يجلس إلى جانبه ولا على مصلاه أو وسادته، وإن أمره الشيخ بذلك فلا يفعله إلا إذا جزم عليه جزمًا يشق عليه مخالفته فلا بأس بامتثال أمره في تلك الحال ثم يعود إلى ما يقتضيه الأدب، وقد تكلم الناس في أي الأمرين أولى أن يعتمد: امتثال الأمر أو سلوك الأدب، والذي يترجح ما قدمته من التفصيل فإن جزم الشيخ بما أمره به بحيث يشق عليه مخالفته فامتثال الأمر أولى وإلا فسلوك الأدب أولى، لجواز أن يقصد الشيخ خيره وإظهار احترامه والاعتناء به فيقابل هو ذلك بما يجب من تعظيم الشيخ والأدب معه.إذا أصر الشيخ على قول أو دليل ولم يظهر له أو على خلاف صواب سهوًا فلا يغير وجهه أو عينيه أو يشير إلى غيره كالمنكر لما قاله بل يأخذه ببشر ظاهر، وإن لم يكن الشيخ مصيبًا لغفلة أو سهو أو قصور نظر في تلك الحال فإن العصمة في البشر للأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وليتحفظ من مخاطبة الشيخ بما يعتاده بعض الناس في كلامه، ولا يليق خطابه به مثل: إيش بك، وفهمت، وسمعت، وتدري، ويا إنسان، ونحو ذلك، وكذلك لا يحكي له ما خوطب به غيره مما لا يليق خطاب الشيخ به، وإن كان حاكيًا مثل: قال فلان لفلان: أنت قليل البر، أو ما عندك خير وشبه ذلك، بل يقول إذا أراد الحكاية ما جرت العادة بالكناية به مثل: قال فلان لفلان الأَبْعَد قليل البر، وما عند البعيد خير وشبه ذلك. وليتحفظ من مفاجأة الشيخ بصورة رد عليه فإنه يقع ممن لا يحسن الأدب من الناس كثيرًا مثل أن يقول له الشيخ: أنت قلت كذا وكذا، فيقول: ما قلت كذا، ويقول له الشيخ: مرادك في سؤالك كذا، أو خطر لك كذا، فيقول: لا أو ما هذا مرادي، أو ما خطر لي هذا وشبه ذلك، بل طريقه أن يتلطف بالمعاسرة عن الرد على الشيخ، وكذلك إذا استفهم الشيخ استفهام تقرير

وجزم كقوله: ألم تقل كذا، وأليس مرادك كذا، فلا يبادر بالرد عليه بقوله لا أو ما هو مرادي، بل يسكت أو يوري عن ذلك بكلام لطيف يفهم الشيخ قصده منه، فإن لم يكن بد من تحرير قصده وقوله، فليقل: فأنا الآن أقول كذا، وأعود إلى قصد كذا، ويعيد كلامه ولا يقل الذي قلته أو الذي قصدته ليضمنه الرد عليه وكذلك ينبغي أن يقول في موضع لم ولا نسلم فإن قيل لنا كذا أو فإن منعنا ذلك، أو فإن سئلنا عن كذا أو فإن أورد كذا وشبه ذلك ليكون مستفهمًا للجواب سائلاً له بحسن أدب ولطف عبارةإذا سمع الشيخ يذكر حُكمًا في مسألة أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية أو ينشد شعرًا وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال متعطش إليه فرح به كأنه لم يسمعه قط قال عطاء: إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئًا. وعنه قال: إن الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له فلا يجيب بنعم لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه ولا يقل لا لما فيه من الكذب بل يقول أحب أن أسمعه من الشيخ، أو أن أستفيده منه، أو بعد عهدي أو هو من جهتكم أصح، فإن علم من حال الشيخ أنه يؤثر العلم بحفظه له مسرة به أو أشار إليه بإتمامه امتحانًا لضبطه وحفظه أو لإظهار تحصيله فلا بأس باتباع غرض الشيخ ابتغاء مرضاته وازدياد الرغبة فيه، ولا ينبغي للطالب أن يكرر سؤال ما يعلمه ولا استفهام ما يفهمه؛ فإنه يضيع الزمان وربما أضجر الشيخ، قال الزهري: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر، وينبغي أن لا يقصر في الإصغاء والتفهم أو يشتغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد الشيخ ما قاله لأن ذلك إساءة أدب بل يكون مصغيًا لكلامه حاضر الذهن لما يسمعه من أول مرةوكان

بعض المشايخ لا يعيد لمثل هذا إذا استعاده ويزيده عقوبة له، وإذا لم يسمع كلام الشيخ لبعده أو لم يفهمه من الإصغاء إليه والإقبال عليه، فله أن يسأل الشيخ إعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسالة أو جواب سؤال منه أو من غيره ولا يساوقه فيه ولا يظهر معرفته به أو إدراكه له قبل الشيخ،ن عرض الشيخ عليه ذلك ابتداء والتمسه منه فلا بأس وينبغي أن لا يقطع على الشيخ كلامه، أي كلام كان، ولا يسابقه فيه ولا يساوقه بل يصبر حتى يفرغ الشيخ كلامه ثم يتكلم، ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه أو مع جماعة المجلس وليكن ذهنه حاضرًا في كل وقت بحيث إذا أمره بشيء أو سأله عن شيء أو أشار إليه لم يحوجه إلى إعادته ثانيًا بل يبادر إليه مسرعًا ولم يعاوده فيه أو يعترض عليه بقوله فإن لم يكن الأمر كذإذا ناوله الشيخ شيئًا تناوله باليمين وإن ناوله شيئًا ناوله باليمين، فإن كان ورقة يقرؤها كفتيا أو قصة أو مكتوب شرعي ونحو ذلك نشرها ثم دفعها إليه ولا يدفعها إليه مطوية إلا إذا علم أو ظن إيثار الشيخ لذلك، وإذا أخذ من الشيخ ورقة بادر إلى أخذها منشورة قبل أن يطويها أو يتربهاوإذا ناول الشيخ كتابًا ناوله إياه مهيئًا لفتحه والقراءة فيه من غير احتياج إلى إدارته فإن كان النظر في موضع معين فليكن مفتوحًا كذلك، ويعين له المكان، ولا يحذف إليه الشيء حذفًا من كتاب أو ورقة أو غير ذلك. ولا يمد يديه إليه إذا كان بعيدًا ولا يحوج الشيخ إلى مد يده أيضًا لأخذ منه أو عطاء بل يقوم إليه قائمًا ولا يزحف إليه زحفًا، وإذا جلس بين يديه لذلك فلا يقرب منه قربًا كثيرًا ينسب فيه إلى سوء أدب ولا يضع رجله أو يده أو شيئًا من بدنه أو ثيابه على ثياب الشيخ أو وسادته أو سجادته، ولا يشير إليه بيده أو يقربها من وجهه أو صدره أو يمس بها شيئًا من

بدنه أو ثيابه وإذا ناوله قلمًا ليمد به فليمده قبل إعطائه إياه، وإن وضع بين يديه دواة فلتكن مفتوحة الأغطية مهيأة لكتابة منها، وإن ناوله سكينًا فلا يصوب إليه شفرتها ولا نصابها ويده قابضة على الشفرة، بل يكون عرضًا وحد شفرتها إلى جهته قابضًا على طرف النصاب مما يلي النصل جاعلاً نصابها على يمين الآخذ وإن ناوله سجادة ليصلي عليها نشرها أولاً والأدب أن يفرشها هو عند قصد ذلك، وإذا فرشها ثنى مؤخَّرَ طرفها الأيسر كعادة الصوفية فإن كانت مثنية جعل طرفيها إلى يسار المصلي وإن كانت فيه صورة محراب تحرى به جهة القبلة إن أمكن لا يجلس بحضرة الشيخ على سجادة ولا يصلي عليها إذا كان المكان طاهرًا وإذا قام الشيخ بادر القوم إلى أخذ السجادة وإلى الأخذ بيده أو عضده إن احتاج، وإلى تقديم نعله إن لم يشق ذلك على الشيخ؛ ويقصد بذلك كله التقرب إلى الله وإلى قلب الشيخ وقيل: أربعة لا يأنف الشريف منهن وإن كان أميرًا؛ قيامُه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم يتعلم منه، والسؤال عن ما لا يعلم، وخدمته للضيف إذا مشى مع الشيخ فليكن أمامه بالليل وخلفه بالنهار إلا أن يقتضي الحال خلاف ذلك زحمة أو غيرها ويتقدم عليه في المواطئ المجهولة الحال كوحل أو حوض، أو المواطئ الخطرة ويحترز من ترشيش ثياب الشيخ، وإذا كان في زحمة صانه عنها بيديه إما من قدامه أو من ورائهوإذا مشى أمامه التفت إليه بعد كل قليل، فإن كان وحده والشيخ يكلمه حالة المشي وهما في ظل فليكن في يمينه وقيل: عن يساره، متقدمًا عليه قليلاً ملتفتًا إليه ويُعَرِّف الشيخ بمن قرب منه أو قصده من الأعيان إن لم يعلم الشيخ بهولا يمشي لجانب الشيخ إلا لحاجة أو إشارة منه، ويحترز من مزاحمته بكتفه أو بركابه إن كانا راكبين وملاصقة ثيابه، ويؤثره بجهة الظل في الصيف وبجهة الشمس في الشتاء وبجهة

الجدار في الرصفانات ونحوها، وبالجهة التي لا تقرع الشمس فيها وجهه إذا التفت إليه، ولا يمشي بين الشيخ وبين من يحدثه ويتأخر عنهما إذا تحدثا أو يتقدم، ولا يقرب ولا يستمع ولا يلتفت فإن أدخله في الحديث فليأت من جانب آخر ولا يشق بينهما، وإذا مشى مع الشيخ اثنان فاكتنفاه فقد رجَّح بعضهم أن يكون أكبرهما عن يمينه وإن لم يكتنفاه تقدم أكبرهما وتأخر أصغرهما وإذا صادف الشيخ في طريقه بدأه بالسلام، ويقصده بالسلام إن كان بعيدًا ولا يناديه ولا يسلم عليه من بعيد ولا من ورائه، بل يقرب منه ويتقدم عليه ثم يسلم، ولا يشير عليه ابتداء بالأخذ في طريق حتى يستشيره ويتأدب فيما يستشيره الشيخ بالرد إلى رأيه ولا يقول لما رآه الشيخ وكان خطأ هذا خطأ ولا هذا ليس برأي، بل يُحسن خطابه في الرد إلى الصواب كقوله: يظهر أن المصلحة في كذا، ولا يقول الرأي عندي كذا وشبه ذلك.

وقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ابن سيرين: جلست إليه وأصحابه يعظمونه كأنه أمير

## ١٨- التدرج:

يبدأ بالأهم قبل المهم، وأن يراعي التدرج في ذلك، فإن من طلب العلم جملة فاته جملة، وألا يضيع وقته في الاستكثار من الشيوخ لمجرد اسم الكثرة وصيتها

وقال يونس بن يَزيد: قال لي الزهريٌّ وهو الإمام المشهور: "لا تأخذِ العلم جملةً، فإن من رَام أخْذَه جملة؛ ذَهَبَ عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام"، وعن مَعْمَرٍ عن الزهريِّ قال: "من طلب العلم جملة؛ فاته جملة، وإنما يُدرك العلم حديث وحديثان"

قال الله -تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وقال الله -تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]

أي أنَّ في نزول القرآن مُنَجَّمًا، سورةً سورةً، حسب الحوادث وأسباب النُّزول، تثبيتٌ للقرآن في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم- فهذا دليل على أنَّ العلمَ يُؤخَذ بالتَّدَرُّج، فيثبت العلمُ، والقرآن

وبسندنا إلى الخطيبُ البغداديُّ في "الجامع" قال: "ولا يأخذ الطالبُ نفسَه بما لا يُطِيقُه" أي لا يُحَمِّل نفسَه ما لا تطيق، لا في الحفظ، ولا في السَّهَر، ولا في كثرة القراءة، قال: "بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويُحْكِم حفظَه ويُتْقِنَه". ولو حديثًا واحدًا،

وروينا في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً

وقال إسماعيل بن عُلَيَّة: "كنتُ أسمع من أيُّوبَ -أي: من شيخه- خمسةَ أحاديثَ". قال: "ولو حدَّثني بأكثرَ من ذلك ما أَرَدْتُ"

وقال أبو عمرو الأَوْزَاعِيُّ: "عرضنا على مالكٍ الموطَّأ في أربعين يومًا فقال كتابٌ ألَّفتُه في أربعين سنةً"، أخذتُموه في أربعين يومًا؟! قلَّما تفقهون فيه"

## ١٩- نشر العلم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩]

وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]

وعليه أن يرشد إخوانه وزملاءه في الطلب إلى ما ظفر به من فوائد ولا يكتمها عنهم فإن كتمان الفائدة عن الإخوان لؤم يحرم المرء من الانتفاع بالعلم، ومن بركة الحديث والعلم إفادته ونشره.

قال ابن المبارك رحمه الله: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: " إما أن يموت فيذهب علمه أو ينسى، أو يتبع السلطان "

وقال ابنُ عقيل - رحمه الله: "لو سكت المُحقُّون ونَطَقَ المُبْطِلُون؛ لتعَوَّد النَّشْءُ على المُنْكَرات، فإذا رامَ المُتدَيِّنُ سُنَّةً ظنّها الناسُ بِدْعَةً فأنكروها".

## ٢٠- الورع:

يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أدركت عشرين ومئة من أصحابِ رسول الله ﷺ من الأنصار ما فيهم من أحد يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه." وبوّبَ البخاري باباً في الصحيح سماه: "باب كيف يقبض العلم؟"،

قال وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن حزم: "انظر ما كان من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء" بسبب ورعهم.

## ٢١- ترك الجدال:

والمماراة في العلم، والبُعد عن مجادلة ومجالسة أهل الأهواء، وكان السلف ينهون عن الجدل والمماراة وخاصة في الباطلِ، أو الغلو وقد روينا في الصحيحين عن مُعاذَةَ العدويّةِ أنها قالت لأمِّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "ما بال المرأة الحائضِ تُؤمر بقضاء الصوم ولا تؤمر بقضاء الصلاة؟ قالت لها" :أحرورية أنت؟"؛ أي من الخوارجِ، قالت: "لا؛ فقالت عائشة - رضي الله عنها-: "كنا في عهد النبي ﷺ نُؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة" هذا منهج السلف، كانوا ينهون عن الجدل والمماراة

وسئل مالك - رحمه الله- عن الاستواء كيف استوى ربنا على العرش؟ فأطرقَ مالكٌ رأْسَه والعرقُ يَتَحَدَّرُ من جبهته، ثم رفع رأسه، وقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا امرأ سوء " ثم أمر به فأُخرج من المسجد، هذا منهج السلف، كانوا يزجرون أهل البدع وينهون عن مجادلتهم إذا كان ذلك في الباطل، إلا إذا كان في رد الشبه وقد ذكر ابن بَطَّةَ في كتاب "الإبانة الكبرى" و"الإبانة الصغرى"، ما يزيد على ثلاث مئة أثر عن السلف في نهيهم عن مُجالسةِ أهل الكلامِ وأهل الانحراف.

## ٢٢- المدارسة:

وينبغي أن يذاكر محفوظاته على الدوام، ويباحث بها إخوانه من الطلاب وبذلك يحفظ العلم من النسيان، قال علي رضي الله عنه: " تذاكروا هذا الحديث، ألا تفعلوا يدْرُس "

وقال ابن مسعود: " تذاكروا الحديث فإن حياته مذاكرة " ويقول أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديثَ، فإذا قمنا تذاكَرْنَاهُ فيما بيننا حتى نحفظه

وقال عليّ بن أبي طالبٍ -رضي الله عنه-: "تزاوروا وتدارَسُوا الحديثَ، ولا تتركوه يَدْرُسْ

وقال ابنُ عبّاسٍ -رضي الله عنهما: إذا سمعتم مني حديثًا فتَذَاكَرُوه بينكم."."

وعن ابن أبي ليلى عن عطاء قال: "كُنَّا نكون عند جابر بن عبد الله" -رضي الله عنهما "فيُحدِّثنا، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثَه فكان أبو الزُّبَير أحفظنَا للحديث

وأبو هُريرة -رضي الله عنه- هو حافظ الأمة لازم النبيّ ﷺ أربع سنوات، وروى للأُمّة أكثرَ من خمسة آلاف حديثٍ، يقول -رضي الله عنه-: "جزّأتُ اللّيلَ ثلاثةَ أجزاءٍ، ثُلُثًا أُصلِّي، وثُلُثًا أنام، وثُلُثًا أُذاكر فيه حديثَ رسولِ الله ﷺ ".

وقال عبد العزيز ابن أبي حازم: "قال لي أبي -وهو أبو حازم: كان الناسُ فيما مضى من الزّمان الأول إذا لقي الرجلُ مَن هو أعلم منه قال :اليوم يوم غُنْمِي". أي غنيمتي، وهذا إذا وجد عالمًا، قال: "فيتعلّم منه، وإذا لَقِيَ مَن هو مثله قال: اليوم يوم مُذَاكَرتي. فيُذَاكِره، وإذا لَقِيَ مَن هو دُونه علّمَه ولم يزهو عليه". أي لم يترفّع عليه، حتى صار هذا الزّمان". هذا أبو حازم يقول: "حتى صار هذا الزّمان، فصار الرّجلُ

يَعِيبُ مَن فوقَه، ابتغاء أن ينقطع منه فهلك الناسُ عند ذلك" أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة يباحث عند الموت فزاره بعض عواده فقال لتلميذه إبراهيم بن الجراح: يا إبراهيم ما تقول في مسألة قال: في مثل هذه الحالة وأنت في النزع، قال: ولا بأس بذلك ندرس لعله ينجو به ناج ثم قال: يا إبراهيم أيهما أفضل في رمي الجمار أن يرميها ماشيا أو راكبا؟ قلت: راكبا قال: أخطأت قلت: ماشيا، قال :أخطأت، قلت: قل فيها يرضى الله عنك، قال: أما ما كان يوقف عنده للدعاء في الجمرة الأولى والثانية فالأفضل فيها ماشيا وأما ما كان لا يوقف عنده أي الجمرة الأخيرة الكبرى فالأفضل أن يرميه راكبا، ثم قمت من عنده فما بلغت باب الدار حتى سمعت الصراخ عليه وإذا هو قد مات -رحمه الله-

والشيخ الفقيه ابن بسام - رحمه الله – شارح عمدة الأحكام وهو من تلاميذ الشيخ السعدي ومن أصحاب ابن عثيمين قال مرة كنت أنا وابن عثيمين نتناوب في تسميع القرآن فيبدأ مثلاً بالثمن الأول من أول القرآن يسرد علي ثم أنا أسمع له الثمن الثاني ثم يسمع لي الثمن الذي بعده وهكذا إلى نهاية المصحف الختمه التي بعدها إذا كان هو الذي بدأ أنا الذي أبدا حتى الأشياء التي أنا ما قرأتها اقرأها والتي لم يقرأها يقرؤها وهكذا.

## ٢٣- الفهم في العلم:

ولا ينبغي للطالب أن يقتصر على سماع الحديث وكتابته من غير تفهم له، ومعرفة بصحته من ضعفه، ومعرفة بمعانيه ولغته وإعرابه وأسماء رجاله، فإن ذلك من آكد الأمور وأولاها

وبإسنادنا إلى الخطيبُ البغداديُّ في كتابه "الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السّامع": "من أول ما ينبغي أن يستعمله الطالبُ: شِدّة الحرص على السّماع، والمُسارَعَة إليه، والمُلازَمَة للشُّيوخ".

وقال ابنُ عبد البَرِّ- رحمه الله: "أمّا طلب الحديث على ما يطلبه كثيرٌ من أهل عصرنا اليوم دون تَفَقُّهٍ فيه ولا تَدَبُّرٍ لمعانيه، فمكروهٌ عند جماعة أهل العلم".

## ٢٤- اختيار الصاحب:

قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧]

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيّ ﷺ قال: الرجل على ديني خليله فلينظر أحدكم من يخالل

وقال الإمام الزَّرْنُوجِي: "وأمّا اختيار الشّريك" أي الصديق والمُخالط "فينبغي أن يُختار المُجِدُّ الوَرِعَ وصاحب الطّبع المستقيم والمُتَفَهِّم ويَفِرُّ من الكسلان، والمُعَطِّل، والمِكْثَار، والمُفْسِد، والفَتّان"

عن المرءِ لا تَسَلْ وسَلْ عن قَرِينهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

احرص على اتخاذ الصاحب الصالح وإياك وقرين السوء ؛ فإن العرق دساس ، والطبيعة نقالة ، والطباع سراقة ، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض ، فاحذر معاشرة من كان كذلك فإنه المرض ، والدفع أسهل من الرفع . قال ابن جماعة الكناني: "الذي ينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه... فإن شرع أو تعرض لصحبة من يضيع عمره معه ولا يفيده ولا يستفيد منه ولا يعينه على ما هو بصدده فليتلطّف في قطع عشرته من أول الأمر قبل تمكّنها، فإن الأمور إذا تمكّنت عسرت إزالتها"أن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله،

قال شعبة: كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبدًا ما يحيا، وقال: ما سمعت من أحد شيئًا إلا واختلفت إليه أكثر مما سمعت منه

وقال ابن عباس: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا. وقال بعضهم:

إن المعلم والطبيب كليهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما

وقال معافى بن عمران: مثل الذي يغضب على العالم مثل الذي يغضب على أساطين الجامع

وقال الشافعي رضي الله عنه: قيل لسفيان بن عيينة: إن قومًا يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا أو يتركوك، فقال للقائل :هم حمقى إذًا مثلك إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي

وقال أبو يوسف رحمه الله: خمسة يجب على الإنسان مُدَاراتهم، وعد منهم العالم ليقتبس من علمه.

## ٢٥- اغتنام المحن:

يُحكى أن غاندي كان يجري بسرعة للحاق القطار وعندما بدأ القطار بالسير وعند صعوده القطار سقطت من قدمه إحدى فردتي حذائه فما كان منه إلا أن خلع الفردة الثانية

وبسرعة رماها بجوار الفردة الأولى على سكة القطارفتعجب أصدقاؤه!!! وسألوه ماحملك على مافعلت؟ لماذا رميت فردة الحذاء الأخرى؟ فقال غاندي: أحببت للفقير الذي يجد الحذاء أن يجد فردتين فيستطيع الانتفاع بهما فلو وجد فردة واحدة فلن تفيده ولن أستفيد أنـا من الأخرى أيضا.

وقد طرد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من مكة فأقام بالمدينة دولة ملأت سمع الدنيا

وسجن الإمام أحمد وجلد فصار إمام السنة.

وحبس شيخ الإسلام ابن تيميه فأخرج من محبسه علماً جماً منها مجموع الفتاوى وتقع في ست وثلاثين مجلداً

ووضع السرخسي في قعر بئر فأخرج المبسوط في عشرين مجلداً في الفقه هي من خياره

ونفي ابن الجوزي من بغداد فجود القراءات السبع

وأصابت الحمى مالك ابن الريب فقال قصيدته الرائعة التي تعدل دواوين شعراء الدولة العباسية والتي قال فيها:

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بجنب الغضَى أُزجي القِلاصَ النواجيا
فَليتَ الغضى لم يقطع الركبُ عرْضَه ... وليت الغضى ماشى الرِّكاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى ... مزارٌ ولكنَّ الغضى ليس دانيا
ألم ترَني بِعتُ الضلالةَ بالهدى ... وأصبحتُ في جيش ابن عفّانَ غازيا
دعاني الهوى من أهل أُودَ وصُحبتي... بذي ( الطَّبَسَيْنِ ) فالتفتُّ ورائيا
أجبتُ الهوى لمّا دعاني بزفرةٍ ... تقنَّعتُ منها أن أُلامَ ردائيا
أقول وقد حالتْ قُرى الكُردِ بيننا ... جزى اللهُ عمراً خيرَ ما كان جازيا
إنِ اللهُ يُرجعني من الغزو لا أُرى ...وإن قلَّ مالي طالِباً ما ورائيا
تقول ابنتيْ لمّا رأت طولَ رحلتي ... سِفارُكَ هذا تاركي لا أبا ليا
لعمريْ لئن غالتْ خراسانُ هامتي ... لقد كنتُ عن بابَي خراسان نائيا
فإن أنجُ من بابَي خراسان لا أعدْ ... إليها وإن منّيتُموني الأمانيا
فللهِ دَرّي يوم أترُكُ طائعاً ... بَنيّ بأعلى الرَّقمَتَينِ ومالِيا
ودرُّ الظِّباء السانحات عشيةً ....يُخبّرنَ أنّي هالك مَنْ ورائيا
ودرُّ كبيريَّ اللذين كلاهما .... عَليَّ شفيقٌ ناصح لو نَهانيا
ودرّ الرجال الشاهدين تَفتُّكي ... بأمريَ ألاّ يَقْصُروا من وَثاقِيا
ودرّ الهوى من حيث يدعو صحابتي ... ودرُّ لجاجاتي ودرّ انتهائيا
تذكّرتُ مَنْ يبكي عليَّ فلم أجدْ .... سوى السيفِ والرمح الرُّدينيّ باكيا

وأشقرَ محبوكًا يجرُّ عنانه .... إلى الماء لم يترك له الموتُ ساقيا
ولكنْ بأطرف ( السُّمَيْنَةِ ) نسوةٌ .... عزيزٌ عليهنَّ العشيةَ ما بيا
صريعٌ على أيدي الرجال بقفزة .... يُسوُّون لحدي حيث حُمَّ قضائيا
ولّما تراءتْ عند مَروٍ منيتي ... وخلَّ بها جسمي، وحانتْ وفاتيا
أقول لأصحابي ارفعوني فإنّه ... يَقَرُّ بعينيْ أنْ (سُهَيْلٌ) بَدا لِيا
فيا صاحبَيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا ... برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا
أقيما عليَّ اليوم أو بعضَ ليلةٍ ... ولا تُعجلاني قد تَبيَّن شانِيا
وقوما إذا ما استلَّ روحي فهيِّئا ... لِيَ السِّدْرَ والأكفانَ ثم أبكيا لِيا
وخُطَّا بأطراف الأسنّة مضجَعي ... وردّا على عينيَّ فَضْلَ رِدائيا
ولا تحسداني بارِكَ اللهُ فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسِعا ليا
خذاني فجرّاني ببردي إليكما ... فقد كنتُ قبل اليوم صَعْبًا قِياديا
وقد كنتُ عطّافًا إذا الخيل أدبَرتْ ... سريعاً لدى الهيجا إلى مَنْ دعانيا
وقد كنتُ صبّاراً على القِرْنِ في الوغى... وعن شَتْمَيَ ابنَ العَمِّ وَالجارِ وانيا
فَطَوْراً تَراني في ظِلالٍ ونَعْمَةٍ ... وطوْراً تراني والعِتاقُ رِكابيا
وطورا تراني في رحًى مُستديرةٍ ...تُخرِّقُ أطرافُ الرِّماح ثيابيا
وقوماً على بئر الشبيكي فأسمِعا ... بها الغُرَّ والبيضَ الحِسان الرَّوانيا
بأنّكما خلفتُماني بقَفْرةٍ ... تَهِيلُ عليّ الريحُ فيها السّوافيا
ولا تَنْسَيا عهدي خليليَّ بعد ما ... تَقَطَّعُ أوصالي وتَبلى عِظاميا
ولن يَعدَمَ الوالُونَ بَثًّا يُصيبهم ... ولن يَعدم الميراثُ مِنّي الموالِيا
يقولون: لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنونني ... وأينَ مكانُ البُعدِ إلا مَكانيا

غداةَ غدٍ يا لهْفَ نفسي على غدٍ ...إذا أدْلجُوا عنّي وأصبحتُ ثاويا
وأصبح مالي من طَريفٍ وتالدٍ ...لغيري، وكان المالُ بالأمس ماليا
فيا ليتَ شِعري هل تغيَّرتِ الرَّحا ...رحا المثْلِ أو أمستْ بَفَلْوج كما هيا
إذا الحيُّ حَلوها جميعاً وأنزلوا ... بها بَقراً حُمّ العيون سواجيا
رَعَينَ وقد كادَ الظلام يُجُنُّها ... يَسُفْنَ الخزُامى مَرةً والأقاحيا
وهل أترُكُ العِيسَ العَواليَ بالضُّحى ... بِرُكْبانِها تعلو المتانَ الفيافيا
إذا عُصَبُ الرُّكبانِ بينَ ( عُنَيْزَةٍ) ...و(بَوَلانَ) عاجوا المُبقياتِ النَّواجيا
فيا ليتَ شعري هل بكتْ أمُّ مالكٍ ... كما كنتُ لو عالَوا نَعِيَّكِ باكيا
إذا مُتُّ فاعتادي القبورَ وسلِّمي ... على الرمسِ أُسقيتِ السحابَ الغَواديا
تري جَدَثٍ قد جرّتِ الريحُ فوقه ... تُراباً كسَحْقِ المَرْنَبانيِّ هابيا
رَهينة أحجارٍ وتُرْبٍ تَضَمَّنتْ ... قرارتُها منّي العِظامَ البَواليا
فيا صاحبا إما عرضتَ فبلِغاً ... بني مازن والرَّيب أن لا تلاقيا
وعرِّ قَلوصي في الرِّكاب فإنها ... ستَفلِقُ أكباداً وتُبكي بواكيا
اقلبُ طرفي حول رحلي فلا أرى ...به من عيون المُؤنساتِ مُراعيا
وبالرمل منّا نسوة لو شَهِدْنَني ... بكينَ وفَدَّين الطبيبَ المُداويا
فمنهنّ أمي وابنتايَ وخالتي ... وباكيةٌ أخرى تَهيجُ البواكيا
وما كان عهد الرمل مني واهله ...ذميماً ولا بالرمل ودعت قالي

ومات أبناء أبي ذؤيب الهذلي فرثاهم بالعائية التي أنصت لها الدهر وصفق لها التاريخ فقال في مطلعها بعد مهلك بنيه السبعة يرثيهم:

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ... وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ
قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً... مُنذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ
أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعاً... إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضجَعُ
فَأَجَبتُها أَن ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ... أَودى بَنَيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا
أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصَّةً... بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ
فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ... وَإِخالُ أَنّي لاحِقٌ مُستَتبَعُ
وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ... فَإِذا المَنِيَّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ
وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها... أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ
فَالعَينُ بَعدَهُمُ كَأَنَّ حَداقَها... سُمِلَت بِشَوكٍ فَهِيَ عورٌ تَدمَعُ
حَتّى كَأَنّي لِلحَوادِثِ مَروَةٌ... بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقرَعُ
لا بُدَّ مِن تَلَفٍ مُقيمٍ فَانتَظِر... أَبِأَرضِ قَومِكَ أَم بِأُخرى المَصرَعُ
وَلَقَد أَرى أَنَّ البُكاءَ سَفاهَةٌ... وَلَسَوفَ يولَعُ بِالبُكا مَن يَفجَعُ
وَلَيَأتِيَنَّ عَلَيكَ يَومٌ مَرَّةً... يُبكى عَلَيكَ مُقَنَّعاً لا تَسمَعُ
وَتَجَلَّدي لِلشامِتينَ أُرِيهِمُ... أَنّي لَرَيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعضَعُ
وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها... وَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ
كَم مِن جَميعِ الشَملِ مُلتَئِمُ الهَوى... باتوا بِعَيشٍ ناعِمٍ فَتَصَدَّعوا

فَلَئِن بِهِم فَجَعَ الزَمـانُ وَرَيبُهُ...إِنّي بِأَهلِ مَوَدَّتي لَمُفَجَّعُ
وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ... في رَأسِ شاهِقَةٍ أَعَزُّ مُمَنَّعُ

الله أسأل أن يجعل ما كتبته نافعاً مفيداً لي ولأخواني وزاداً لي يوم المصير إليه والوقوف بين يديه والعرض عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.